

سلسلة التوجيهات ٨

"قل الحق وإن كان مرًّا"
حديث شريف

تنبيهات هامة

على كتاب صفوة التفاسير

للشيخ محمد علي الصابوني

إعداد

محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية
بمكة

الدكتور صالح الفوزان
الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية في الرياض


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

"قل الحق وإن كان مُرًّا" حديث شريف

تنبيهات هامة

على كتاب صفوة التفاسير

للشيخ محمد علي الصابوني

إعداد

محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية
بمكة

الدكتور صالح الفوزان
الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية في الرياض

د. سعد ظلام
عميد كلية اللغة العربية بالأزهر

الشيخ عبد الله بن جبرين
من هيئة كبار العلماء

سمحت بطبعه مراقبة الكتب والمصاحف
بالرياض ، وفرع وزارة الإعلام والمطبوعات
بمكة المكرمة
الرقم ٤١٦ التاريخ ٢ / ٣ / ١٤٠٧

هاتـف المدرسة : ٥٧٤٦٤٣٠ مكـة المكرمـة

إذا أردت أن يكون لك الأجر في حياتك وبعد موتك ، فاطبع هذا الكتاب ، أو ساهم في طبعه ، واتصل بالمؤلف ليساعدك على الطبع بأرخص سعر ممكن ويرسل لك نسخة مزيده ومنقحة

هاتف البيت : ٥٥٦١٨٢٧ مكة ـ ص . ب : ٦٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مُضل له ، ومَن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فهذه الطبعة الرابعة أقدمها للقراء الذين يريدون أن يعرفوا التفسير الصحيح للقرآن الكريم ، ويصححوا النسخ الموجودة لديهم من كتاب (صفوة التفاسير) على ضوء السنة النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال المفسرين المعتمدين ، وقد اشترك معي الدكتور صالح الفوزان ، والدكتور عبد الله جبرين ، والدكتور سعد ظلام ، وأضفت إلى هذه الطبعة زيادات مهمة تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وغيرها .

وأحب أن أنبه إلى أن الطبعة الثالثة جرى فيها تعديل ، وهو أنني عددت فى الأسطر الأربع الأخيرة من الصفحة ١٣١ بعض صفات الله عز وجل :

فقلت : ومنها .. الضحك والإرادة والكلام ، والسخرية والاستهزاء .. وقد حذفت فى هذه الطبعة صفة السخرية والاستهزاء ، لأنهما لا تطلقان إلا بذكرهما على سبيل المقابلة ، فيقال : يسخر الله بمن سخر ، ويستهزىء بمن استهزأ ، كما حكى الله قول المنافقين ورد عليهم : (إنما نحن مستهزئون . الله يسْتهزىء بهم)(سورة البقرة) (فيسخرون ، سخر الله منهم) (التوبة) .

والله اسأل أن ينفع بهذه التنبيهات المسلمين ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

محمد بن جميل زينو



رأي العلماء في هذه التنبيهات

لقد عرضتُ هذه التنبيهات على بعض مشايخ الحرم وجامعة أم القرى فكانوا من الموافقين عليها شفهياً وكتابةً :

(أ) الموافقون شفهياً : منهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، فقد قدمت له نسخة من الرد وبعد مدة اتصلتُ به هاتفياً فقال لي : «ردك طيب» ، ثم قرأت بعضها على سماحة الشيخ سليمان بن عبيد رئيس شؤون الحرمين فأقرها .

واطلع عليها فضيلة الشيخ محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام ، ونائب رئيس شئون الحرمين فقال لي : «جزاك الله خيراً أعطها لمن يطلبها» .

واطلع عليها فضيلة الشيخ على الهندي المدرس فى المسجد الحرام فَحبَّذَها ، وكذلك فضيلة الشيخ أحمد القحطاني مدير التوعية بوزارة الحج والأوقاف ، ومثله فضيلة الشيخ عبد اللطيف بدر المشرف على مجلة التوعية الإسلامية ، وصرح الشيخ عبد الله بن جبرين أحد العلماء المكلفين بمراجعة التفسير : بأن هذا الرد يجب أن يوزع مع كل نسخة من التفسير المذكور .

واطلع عليها الدكتور (راشد الراجح) مدير جامعة أُم القرى بمكة

ولما قدمت له نسخة من الطبعة الثانية قال لي فضيلته مشجعاً : قل الحق مهما يكن.

(ب) الموافقون كتابة : لقد اطلع على هذه التنبيهات بعض أهل العلم ، فكان ردهم بالموافقة كتابةً منهم :

١ ـ فضيلة الشيخ عبد الله خياط عضو هيئة كبار العلماء الذى اطلع على التنبيهات وكتب :

أما بعد فقد وَقَفتُ على ماكتبه الأخ الأستاذ الشيخ محمد بن جميل زينو المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة من تنبيهات وملاحظات على كتاب «صفوة التفاسير» فوجدت تلك التنبيهات نافعة في بابها ، مهمة في موضوعها ، جليلة في مقاصدها وأهدافها ، وخاصة مايتعلق منها بالعقيدة التى هي أصل الدين ، وركنه الأعظم ، وعموده الذى لاتقوم للإسلام بدونه قائمة ، فجزاه الله خيراً على جهده المشكور ، وغيرته المحمودة ، وأدام الله نشاطه فى نشر العقيدة الصحيحة والذود عنها بما يكتبه من مؤلفات هادفة هادية بإذن الله .

١٩ / ٩ / ١٤٠٥ هـ

٢ ـ وقد اطلع عليها فضيلة الشيخ محمد الحسن بن عبد القادر رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فى (كَسَلا) بالسودان فقال :

وبعد : عرض عليَّ صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو

المدرس بمدرسة دار الحديث الخيرية بمكة بعض ملاحظات قيمة ، تخدم العقيدة ، وتنفع طلبة العلم ومن يطلع عليها من المسلمين .

٣ ـ وكتب لي فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري المدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فقال : وبعد : لقد قرأت تنبيهاتك الهامة على كتاب «صفوة التفاسير» للشيخ الصابوني ، وقدرت مدى المسئولية التي تتحملونها لو واصلتم البحث والتصويب والتصحيح ، وإنه لجهد كبير وعملية شاقة قلَّ من يقدر عليها ، فلذا لا أستطيع أن أقول اعملوا والله معكم خشية أن أوقعكم في عمل طويل يقتضي منكم تتبع تفسير الصابوني من ألفِهِ إلى يائه ، إذ هذا هو المفروض لمن أراد أن يُصحح الأخطاء ويُبين العيب لِيُجتَنَب ، وكل ما أقوله : إني مقدر لذكائكم وسلامة فهمكم ، وإن أمكن لكم مواصلة العمل ، وأنهيتم مهمتكم إلى آخرها ، فإن اللائق أن يُطبع ماكتبتموه على هامش التفسير ، كما فعل الصاوي الغاوي على الجلالين ، ولتتحمل دار الإفتاء تكاليف الطباعة ومصاريفها ، هذا رأي أخيكم المقدر لجهدكم والسلام .
فى ٤ / ٩ / ١٤٠٥ هـ .

٤ ـ وكتب فضيلة الشيخ عبد الله خياط استدراكاً لما سبق أن كتب موضحاً سبب ذلك قائلاً :

أما بعد : فقد كنت كتبت مُقدمة وجيزة لكتاب : «صفوة التفاسير» بعد أن أطلعني مؤلفه الشيخ محمد على الصابوني على ملزمة من ملازم

الكتاب قبل طبعه وطلب إليَّ كتابة مقدمة لهذا الكتاب ، ولم يكن فيما اطلعت عليه شيء منتقَد أو مردود .

ولقد كانت المحاسن التى أشار اليها كاتب هذه التنبيهات الهامَّة النافعة الأخ الشيخ محمد بن جميل زينو في مطلع نقده سبباً باعثاً على كتابة تلك المقدمة .

وقد كتبتُ هذه الكلمة إيضاحاً للحقيقة ، وإبراءً للذمة ، والله يتولانا برعايته ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

كتب في ٢٢ من شعبان ١٤٠٥ هـ

وكتب فضيلة الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقال : الحمد لله رب العالمين ، وعَد بنصر الحق وأهله في كل حين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد مَن بَلَّغ البلاغ المبين ، وعلى آله وصحابته والتابعين ، وبعد : فقد اطلعت على ما كتبه الشيخ محمد بن جميل زينو فى رَدِّه على أخطاء محمد على الصابوني في كتابه : (صفوة التفاسير) فألفيتُه رَدًّا وافياً بالمقصود ، مفيداً في بابه . وقد أدى به واجباً عظيماً نحو كتاب الله ونحو الأمانة العلمية ونحو إخوانه المسلمين ، فجزاه الله خيراً ، وزاده علماً وبصيرة ونصرة للحق ، ورَدًّا للباطل - وكنت قد قرأت كتاب « صفوة التفاسير » وسجلت عليه ملاحظات كثيرة لأقوم بتوضيح ما فيها من الأخطاء ـ ولما اطلعت على ما كتبه الشيخ محمد وجدته كافياً ـ والحمد لله ـ وجعله دائماً من السابقين إلى الخيرات .

(١٧ / ١٢ / ١٤٠٦ هـ)

أسباب كتابة هذه التنبيهات

١ ـ دفاعاً عن القرآن الكريم وعن تفسيره الذى أدخل فيه المؤلف بعض الآراء الخطيرة في العقيدة كما سيأتى .

٢ ـ دفاعاً عن السنة المطهرة ، حيث ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة في تفسيره ، كما أنه حذف أول حديث صحيح متعمداً تبعا لهواه في التأويل كما سيأتي .

٣ ـ قياماً بالنصيحة التي أمرنا الرسول ﷺ أن نقدمها لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم ، ولقد نصحته منفرداً وراجعته بلطف فلم يقبل ، ولو قبل ما رددتُ عليه .

٤ ـ استجابة لأمر الله تعالى بقوله : ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدعونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْـمُنكَرِ وَأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

وقوله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليُغَيِّره بِيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» .

(رواه مسلم)

٥ ـ خوفاً من المسئولية أمام الله وأداءً للواجب العلمي .

٦ ـ تلبية لطلب بعض مشايخ الحرم ومدرسي الجامعة وطلبة العلم عندما أخبرتهم بالأخطاء وقد أطلعتهم عليها فوافقوا على نشرها .

٧ ـ يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : العَالِم إذا بُيِّـن خطؤه للناس عرفوا الحق من الباطل وهذه طريقة السلف الصالح ،

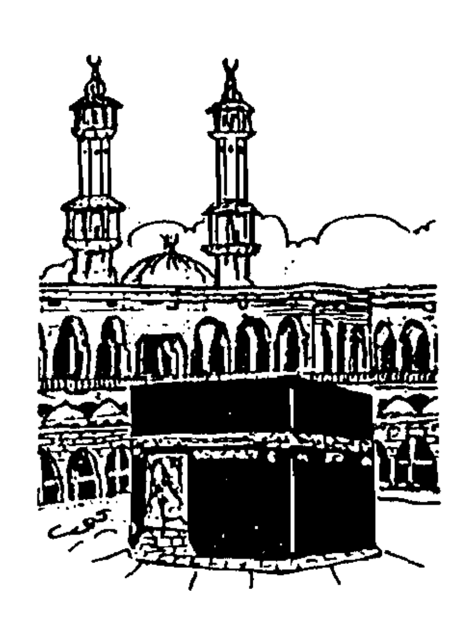
وأخبرني بأن هناك لجنة من العلماء لتعديل تفسيره ، وطلب مني إرسال الأخطاء التي اطلعتُ عليها .

٨ ـ لقد سبقني في الرد الدكتور سعد ظلام في مجلة «منار الإسلام» وبين خطورة تفسيره ، وردَّ عليه أيضا الشيخ محمد المغراوي من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في رسالته (الماجستير) بعنوان : (المفسرون) وبيَّـن منهجه في التأويل لآيات الصفات .

٩ ـ هذه التنبيهات في بعض التفسير الذي اطلعت عليه .

١٠ ـ قمت بالاستخارة الشرعية ، وأسأل الله أن يجعل الرد خالصاً لوجهه الكريم ، وخدمة لكتابه الكريم ، وسنة نبيه الأمين ﷺ .

١١ – وردَّ عليه أخيراً الدكتور بكر أبو زيد وكيل وزارة العدل السعودية فى كتاب سماه (التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير) وقد جمع الردود على الصابوني فبلغت ٢٢ رداً .



كيف تم اكتشاف الأخطاء

التنبيه الأول : كنت أقرأ على الطلبة من تفسير سورة القلم من كتاب «صفوة التفاسير» عند قوله تعالى : ﴿ **يَومَ يُكشَفُ عَن سَاق وَيُدعَونَ إلَى السُّجُودِ فَلَا يَستَطِيعُونَ** ﴾ آية ٤٢ فقال مانصه : ﴿ **يوم يُكشَف عن ساق** ﴾ أي : اذكر يامحمد لقومك ذلك اليوم العصيب الذى يُكشَف فيه عن أمر فظيع شديد فى غاية الهول والشدة . قال ابن عباس : هو يوم القيامة يوم كرب وشدة .

﴿ **ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾ أي يُدعى الكفار للسجود لرب العالمين فلا يستطيعون لأن ظهر أحدهم يصبح طبقاً واحداً ، وفى الحديث : « **يسجد لله كلُّ مؤمن ومؤمنة ، ويبقى مَن كان يسجد في الدنيا رِياء وسُمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً**» . (جـ٣/ ٤٣٠)

١ ـ كان بيد أحد الطلبة كتاب « **التفسير الميسَّر للشيخ عبد الله خياط** » فقرأ عليَّ الحديث التالي : « **يكشِف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة** . . » إلى آخر الحديث الذي فَسَّرَ به الآية ، فعجبت من الشيخ الصابوني كيف حذف أول الحديث ؛ ولكى أتأكد من لفظ الحديث من مصدره رجعت إلى صحيح البخارى فى كتاب التفسير (جـ ٦ / ٧٢) عند تفسير هذه الآية فوجدت الحديث يقول : «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة** . . إلى آخر الحديث الذي ذكره الصابوني وحذف أوله» .

لأن البخارى فسَّـر الآية بالحديث .

٢ ـ راجعت الشيخ الصابوني في الحرم المكي فلَعله لايدري أول الحديث ، وقلت له بلطف : لقد ذكرت حديثاً في تفسيرك عند قوله تعالى : ﴿ يوم يُكشَفُ عن ساق ﴾ .. وقلتَ : «وفي الحديث يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة ..» فلماذا حذفت أول الحديث وهو «يكشِف ربنا عن ساقه» ؟ ! فقال لي بلهجة حادة : «المفسرون كلهم أوَّلوا» أي لم يأخذوا بظاهر الآية والحديث ! ثم قال لي أخيراً : الذي أريده من الحديث أخذته ! !

إذاً كان الشيخ محمد على الصابوني على عِلمٍ بأَول الحديث وصدق الشاعر حين قال :

فإن كنت لاتدري فتلك مصيبة
وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظم

٣ ـ إن جوابه السابق لي غير مطابق للسؤال وهُو مخالف للصواب والواقع حتما :

إن تفسيري ابن كثير والطبري اللذين اختصرهما الشيخ الصابوني لم يتأولا الآية بل ذكرا الحديث بتمامه ، ولكن الشيخ الصابوني حذف الحديث بتمامه عندما اختصر تفسير ابن جرير الطبري ، وبذلك ارتكب مخالفةً صريحة لأصل التفسير ، ولم يفِ بوعده الذي قطعه على نفسه في أول المختصر حيث قال : « وهذا المختصر لتفسير الإمام الطبري الذي نضعه بين يديك أيها القارئ

الكريم هو تفسير الشيخ الطبري نفسه ، بل يكاد يكون كلامه بالحرف الواحد . . إلى أن قال :

« لم نأت بشيء جديد بالنسبة للطبري ، وإنما لخصناه من تفسيره ، ونقلناه بأمانةٍ ودقةٍ من خلال تفسيره الجامع الواسع . . » . (جـ٢/٥)

فأين الأمانة والدقة عند حذفه للحديث الذي فسر الآية ، وذكره الإمام الطبرى فى تفسيره (جـ ٢٩ / ٢٦) ، وقد ذكر الصابوني قسماً من الحديث في الحاشية ، وحذف أوله كما فعل في صفوة التفاسير تبعاً لهواه في التأويل . (جـ ٢ / ٤٧٨)

وهناك مخالفات عديدة ارتكبها الشيخ الصابوني في مختصره ، سأذكرها في بحث مستقل إن شاء الله دفاعاً عن تفسير الطبري ، ونصيحةً للقراء ، على أن هناك مفسرين آخرين لم يأخذوا بالتأويل منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطى في تفسيره أضواء البيان ، وتفسير صديق حسن خان في فتح البيان ، والطبري ، وابن كثير ، وفتح القدير للإمام الشوكاني وغيرهم كثير ، وبذلك بطل ادِّعاء الشيخ الصابوني بأن المفسرين كلهم أوَّلوا الآية .

وكيف يصدر هذا الادعاء ممن كان أستاذاً للتفسير في جامعة أُم القرى لمدة طويلة وهو متخرج من الأزهر ؟ !

٤ ـ إن بعض المفسرين الذين أوَّلوا الآية ، ونقل عنهم الشيخ الصابوني التأويل كالقرطبي وغيره قد أخطأوا ، وخالفوا الحديث المفسر

للآية ، لأن تفسير الحديث للآية واضح ، وهو خير أنواع التفسير ، فالرسول ﷺ وهو المبلغ عن الله أعلم بتفسير كلام الله ومراده ، وقد أثبت الساق لله فى قوله ﷺ :

« **يكشف ربنا عن ساقه** » فهل يجوز لمسلم أن يترك تفسير الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ويأخذ بتفسير غيره المعَرَّض للخطأ ؟ ولاسيما إذا عارض التفسيرُ حديثاً صحيحاً ، كما هو حاصل في الآية التى فسرها الشيخ الصابوني ، حيث ترك الحديث وتأوَّلها .



حديث آخر صريح لايحتمل التأويل

وهناك حديث آخر صريح في إثبات الساق لله بما يليق به رواه البخارى في باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ عن أبي سعيد الخدري قال : «قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تُضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ قلنا لا ، قال فإنكم لاتُضارُّون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارُّون في رؤيتهما . ثم قال : ينادى مناد ليذهب كل قوم إلى ماكانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليبَ مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله مِن بَرٍّ أو فاجر ، وغُبَّراتٌ مِن أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سرَاب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله ، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ماكنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله مِن بَرٍّ أو فاجر ، فيقال لهم : مايَحبسكم ، وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وإنا سمعنا منادياً ينادي لِيَلْحق كل قوم بما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربنا ، قال : فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة . فيقول :

أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ! فلا يُكلمه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : الساق ، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسُمعة ، فيذهب كيما يسجد ، فيعود ظهره طبقاً واحداً»

(غُبَّراتٌ : بقايا) (جـ ٨ / ١٨١)

قال ابن حجر في الفتح ج ١٣ / ٤٢٨ عند شرحه للحديث :

قال : وأما قوله «**هل بينكم وبينه علامة تعرفونها ؟ فيقولون الساق**» فهذا يُحتمل أن الله عرَّفهم على ألسِنة الرسل من الملائكة أو الأنبياء أن الله جعل لهم علامة تجلِّيه الساق ، وذلك أنه يمتحنهم بإرسال مَن يقول لهم : أنا ربكم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **يُثَبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ وهى وإن ورد أنها في عذاب القبر ، فلا يبعد أن تتناول يوم الموقف أيضاً .

(انتهى من فتح البارى الطبعة السلفية)





التوجيه الصحيح لقول ابن عباس

ذكر الصابوني قول ابن عباس وفهم منه التأويل ، والذى ينظر إليه بدقة وإمعان لايرى فيه التأويل لان تفسيره باللغة العربية

وعن ابن عباس قال : «هو يوم القيامة يوم كرب وشدة» فإن صح النقل عنه فلا يتعارض مع الحديث :

١ ـ أقول : يكشف ربنا عن ساقه يوم القيامة وهو يوم كرب وشدة حيث تظهر فيه النتيجة فيُعرف مَن يسجد لله أم لا .

٢ ـ يمكن أن يقال : إن ابن عباس لم يبلغه حديث أبي سعيد الخدري الذى فسر الآية بالحديث : «يكشف ربنا عن ساقه» . كما لم يبلغ أبا بكر الصديق توريث الجدة ، ولو بلغه لفسَّر الآية بالحديث (انظر مفتاح الجنة للسيوطى ص ١٩)

٣ ـ إذا اجتمع قول صحابي مع قول رسول الله ﷺ ، وكان بينهما تعارض فأيهما نقدم ؟

لاشك أننا نقدم قول رسول الله ﷺ على قول الصحابي لقول الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتُقَدِّموا بيْن يَدَيِ الله ورسوله** ﴾ [الحجرات : ١]

(أى لا تُقدموا قولاً أو فعلا) .

ورسول الله ﷺ أعلم بمراد الله وكلامه من الصحابي وغيره ، وهو

الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وَحي يُوحى . علماً بأن بعض الصحابة فسروا الآية بالساق :

ا ـ عن ابن مسعود فى قوله تعالى : (يوم يُكشف عن ساق) قال : عن ساقه .

ب ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (يوم يُكشف عن ساق) قال : «يكشف الله عن ساقه» [ذكره السيوطى فى الدر المنثور] وأصل الحديث في الصحيحين .

٤ ـ إن ابن عباس لايرضى أن نقدم قوله على قول رسول الله ﷺ وهو القائل : أخشى أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبوبكر وعمر ! !

٥ ـ وقد أشار ابن تيمية إلى تفسير (يوم يُكشَف عن ساق) فقال قولين في الفتاوى (جـ ٦ / ٣٩٤) :

(أ) روي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة ، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة . «ضعفه سليم الهلالي» .

(ب) وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذى رواه أبو سعيد في الصحيحين .

أقول : الصحيح أنها من آيات الصفات لحديث أبي سعيد في الصحيحين المتقدم الذى فسر الآية .

وقد أشار البخاري وابن كثير ، وابن حجر إلى ذلك كما تقدم .

٦ ـ ذكر المفسر صديق حسن خان في كتابه : (فتح البيان جـ ١٠ / ٣٦) فقال وقد أغنانا الله سبحانه وتعالى في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ ، فقد أخرج البخارى وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«**يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة . .**» .

ثم قال : وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، وذلك لايستلزم تجسيماً ولاتشبيهاً ، فليس كمثله شيء[1]

دعوا كل قول عند قول محمد ... فما آمن في دينه كمخاطر

٧ ـ سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **يوم يُكشَف عن ساق** ﴾ فقال ماخلاصته : إن هذه الآية من آيات الصفات التي أثبتها الله لنفسه ، فالساق واليد والأصابع والوجه والعين وغيرها من الصفات الثابتة نؤمن بها على ظاهرها من غير تأويل ولا تشبيه لقول الله تعالى :

﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصير** ﴾ . [الشورى]

٨ - ورؤية الساق يوم القيامة للمؤمنين والمنافقين ثابتة في الحديث المتقدم .



---

(١) ذكر مثل هذا القول الشوكاني في (فتح القدير ٥/٢٧٨) .



قراءة شاذة وضعيفة

التنبيه الثاني : ذكر الشيخ الصابوني قراءة شاذة وضعيفة عند تفسير قوله تعالى في سورة الطلاق آية ١ : ﴿ **وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾ فقال ما نصه : «واختلف في الفاحشة التي تبيح خروج المعتدة فقيل : إنها الزنى فتخرج لإقامة الحدِّ عليها ، وقيل إنه سوء الكلام مع الأصهار وبذاءة اللسان ، فتخرج ويسقط حقها من السُّكنى ، ويؤيده قراءة : «إلا أن يفحُشن عليكم» .

(جـ ٣ / ص ٣٩٩) .

١ - وقفت عند هذه القراءة ، وقلت : لابُد من الرجوع إلى أهل القراءات ، فسألت مدرساً متخرجاً من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من كلية القرآن فقال لي : هذه القراءة باطلة ، ثم سألتُ الشيخ الصابوني عن هذه القراءة التي ذكرها ، فقال لي : نعم موجودة راجع الكتب المطولة ، فقلت له : لقد سألتُ المتخصصين بالقراءات والمتخرجين من الجامعة فأنكروها فقال : إن هؤلاء لايفهمون إنهم جهلة ! قلت في نفسي ؛ هذا من الكِبر الذى حذَّر منه الرسول ﷺ بقوله :

«الكِبر بطر الحق وغمط الناس» . «رواه مسلم» .

ومعنى الحديث : (**الكِبر رد الحق واحتقار الناس**) .

وهذا الحديث يعرفه الشيخ الصابوني وذكره في كتابه : «صلاة التروايح» وعزاه للبخاري وهو في مسلم فقط .

٢ ـ كان على الشيخ الصابوني حينما أورد القراءة الشاذة في تفسيره أن يرجع إلى المختصين في القراءات بدلاً من أن يرميهم بالجهل لأنهم أنكروا هذه القراءة ، عملاً بقوله تعالى :
﴿ فَسْئَلُواْ أَهْلَ الْذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : آية ٧]

وأخيراً سألت الشيخ عبد الغفار الدروبي المدرس في جامعة أم القرىٰ بمكة للقراءات عن القراءة المذكورة فقال لي : سألني عنها الشيخ الصابوني فقلت له : غير صحيحة وهي شاذة .
ولكن الشيخ الصابوني كتم هذا ولم يُخبرني ، لئلا ينكشف خطؤه وتهجمه علىٰ المختصين بالقراءات .





شروط القراءة الصحيحة

١ ـ موافقة القراءة العربية بوجه من الوجوه .

٢ ـ أن توافق القراءة رسم المصحف العثمانى ولو احتمالاً مثل (مَـٰلِك ، مَلِك) .

٣ ـ أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد ، لأن القراءة سُنة مُتبعة يُعتمد فيها على سلامة النقل ، وصحة الرواية .

فإذا اجتمعت الأركان الثلاثة :

موافقة العربية ـ ورسم المصحف ـ وصحة السند .

فهى القراءة الصحيحة ، ومتى اختل ركن منها أو أكثر أطلق عليها أنه ضعيفة أو شاذة أو باطلة .

(نقلًا من كتاب مباحث في علوم القرآن ص ١٧٦ ، ١٧٧ للشيخ مناع القطان) .

أقول : إن القراءة التي ذكرها الصابوني في تفسيره خالفت الرسم العثمانى للمصحف ، ولذلك كانت ضعيفة أو شاذة ، أو باطلة ، وقد بطل قول الصابوني لي إنها صحيحة .

* * *

الصابوني ينقل كلاماً خطيراً

التنبيه الثالث : ذكر الشيخ الصابوني عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ . . ﴾ [آية ٥٦ من سورة الأحزاب]

فقال نقلا عن الصاوي : «وهذه الآية فيها أعظم الدليل على أنه ﷺ صار مَنبع الرحمات ومَنبع التجلِّيات» .

(حاشية الصاوى جـ ٣ / ١٨٧ والصفوة ج ٢ / ٣٥٦) .

١ ـ وقفت عند قول الصاوي : «مَنبع الرحمات ومَنبع التجليات» ويريد به الرسول ﷺ ، هل هذا صحيح أم لا ؟ وهل الرسول ﷺ يرضىٰ – لو كان حياً – بهذا الوصف الذي لا يليق إلا بالله عز وجل ؟

٢ ـ كيف يرضى الرسول ﷺ بهذا الوصف وقد جاءه رجل فقال : ماشاء الله وشئت . فقال : **«أجعلتني لله نِدًّا ؟ قل : ماشاء الله وحده»** (رواه النسائى بسند حسن) (النِد : المثيل والشريك) .

٣ ـ لاشك أن هذا من الغُلُوّ الذى نهى عنه الرسول ﷺ بقوله : **«إياكم والغُلُوّ في الدين ، فإنما هلك مَن كان قبلكم بالغلُو في الدين»** (حديث صحيح رواه أحمد)

٤ ـ أقل مايقال في هذا الوصف إنه إطراء ، وقد نهى عنه الرسول ﷺ بقوله : **«لاتُطرونى كما أطرت النصارىٰ ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله»** (رواه البخارى)

٥ ـ سألتُ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن هذا النقل الذى أورده الشيخ الصابوني في تفسيره ؟ فأجاب : إن أراد به تعاليمه وما جاء به فمُحتمل ، وإن أراد به ذاته فهذا شرك .

٦ ـ سمع الشيخ الصابوني بسؤالي وجواب الشيخ عليه فغضب غضباً شديداً ، فقلت له : لقد ذكرتَ ذلك في تفسيرك ، والشيخ عبد العزيز بن باز فَصَّلَ في الجواب ، فما رأيك هل كلام الصاوي صحيح في أن الرسول ﷺ هو ذاته مَنبع الرحمات ومَنبع التجلِّيات ؟ فقال لي : نعم كلامه صحيح ! وهذا إقرار من الشيخ الصابوني لكلام الصاوي الذي عدَّه الشيخ ابن باز شركاً . فقلت له : لكن الصاوي يقول : «الأخذ بظواهر القرآن كفر» ! ! فقال الشيخ الصابوني : نعم هذا صحيح ، وَضَربَ علىٰ ذلك مثلاً قولَه تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤]

فإذا أُخذت علىٰ ظاهرها فمعناها أن السفينة تجري في أعين الله ! وهذا الكلام غريب من مفسر يعرف اللغة العربية ، ويفسرها بهذا التفسير العجيب الذى لا يقوله أحد ، فالعامي إذا قال لك أنت على رأسي وعيني يعرف أنه يريد أنت مُكَرم عندي ولا يقصد أن يضعك على رأسه وعينه ، فيكون معنى الآية : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ : (بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا حسب تفسير ابن كثير) ، مع إثبات العين لله بما تليق به من غير تشبيه بمخلوقاته ، علماً بأن الآية تقول : ﴿ بأعيننا ﴾ وليست ﴿ في أعيننا ﴾ ، لأن ﴿ في ﴾ تفيد الظرفية .

كلام الصاوي فيه ضلال كبير

لقد أكثر الصابوني النقل عن الصاوي (الغاوي) مع أن له أقوالاً خطيرة وذلك حين قال في حاشية الصاوي على الجلالين [جـ٣/١٠] :

(ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مُضل ، وربُما أدىٰ ذلك إلىٰ الكفر ، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر) ! !

وهذا الكلام الخطير من (الصاوي) يحتاج إلى رَد حاسم :

(أ) إن الأئمة الأربعة يتبرأون من هذا الكلام ؛ فقد قال أبو حنيفة رحمه الله : (حرام على مَن لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي ، فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً) .

وقال الإمام مالك رحمه الله : (ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويُترك إلا النبي ﷺ) .

وقال الإمام الشافعى : (إذا صح الحديث فهو مذهبي) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : (من رَدَّ حديث رسول الله فهو على شفا هلكة) .

وقد خالف الصاوي كلام الأئمة الذين أجمعوا على الأخذ بالحديث الصحيح فكان غاوياً وضالاً .

(ب) إن الخارج عن المذاهب الأربعة ، ويأخذ بمذاهب الصحابة كعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وغيرهما الموافق لحديث رسول الله ﷺ ليس بضال ولا مضل ولايؤديه ذلك إلى الكفر كما يقول الصاوي الضال المضل ، والمسلمون لم يؤمروا إلا باتباع قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ ، قال الله تعالى :

﴿ اتَّبِعوا ماأُنزِلَ إليكم مِن ربكم ، ولا تَتَّبِعوا مِن دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ [آية ٣ : الأعراف]

(جـ) إن الأخذ بظواهر القرآن والسنة هو الذي عمل به الرسول ﷺ والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ، فكيف يكون من أصول الكفر كما يقول الصاوي ؟ إن قول (الغاوي) هذا ، وكل من وافقه عليه هو الضلال بعينه .

(د) يشير الصاوي بقوله : «الأخذ بظواهر القرآن والسنة من أصول الكفر» إلى أن للكتاب والسنة ظاهراً وباطنًا ، وقد يفهم منه إلى أن الباطن وحده من أصول الإيمان .

وهذا التقسيم من كلام الباطنية المنسلخين عن الإسلام الذين يعتبرون الباطن هو الحقيقة والظاهر هو الشريعة ، وقد قالوا إنه كفر ، فهدموا بذلك الشريعة التي أتى بها النبي ﷺ ، وهذا هو الكفر البواح .

ومن الأدلة على أن الصاوى يقول بالباطن ماقاله في علم الخضر : إنه علم الكشف ، وأن علم موسى علم الظاهر [جـ ٣ سورة الكهف]
وما علم الكشف في مقابل علم الظاهر إلا الباطن .



الشنقيطي يرمي الصاوي بالجهل

لقد نقد العلامة محمد الأمين الشنقيطي فى تفسيره (أضواء البيان) الصاوي وبين ضلاله فقال عن كلام الصاوي المتقدم :

فانظر ياأخي رحمك الله ، ماأشنع هذا الكلام وما أبطله وما أجرأ قائله على الله ، وكتابه وعلى النبي ﷺ وسنته وأصحابه سبحانك هذا بهتان عظيم .

أما قوله بأنه لايجوز الخروج عن المذاهب الأربعة ولو كانت أقوالهم مخالفة للكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة فهو قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الأئمة الأربعة أنفسهم ، كما سترى إيضاحه إن شاء الله بما لا مزيد عليه في المسائل الآتية بعد هذه المسألة . فالذي ينصره هو الضال المضل .

وأما قوله : إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ، فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه ، وقائله من أعظم الناس انتهاكاً لحرمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

والتحقيق الذي لاشك فيه ، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة علماء المسلمين أنه لايجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه ، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح .

والقول بأن العمل بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر لايصدر

ألبتة عن عالم بكتاب الله وسنة رسوله وإنما يصدر عمن لاعلم له بالكتاب والسنة أصلا ، لأنه لجهله بهما يعتقد ظاهرهما كفراً والواقع في نفس الأمر أن ظاهرهما بعيد مما ظنه أشد من بُعد الشمس من اللمس .

(جـ ٧ / ٤٣٨) .



إثبات اليدين لله تعالى

التنبيه الرابع : ذكر الشيخ الصابوني في آخر سورة (صٓ) عند قول الله تعالى : ﴿ **قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾

[آية ٧٥ : سورة ص] (جـ ٣ ص ٦٥)

فقال في تفسيره : «أي قال له ربه : ما الذي صرفك وصدك عن السجود لمن خلقته بذاتي من غير واسطة أب وأم» .

لقد خالف الشيخ الصابوني بذلك إمام المفسرين الطبري الذي اختصره بنفسه ، حيث قال في المختصر عند تفسير هذه الآية : «أي شيء منعك عن السجود لمن خلقته بيدي» (جـ ٢ / ٢٧٠) : فالآية صريحة في إثبات اليدين لله تعالى ، فما أدري ما الذى حمله على هذا التفسير ، وهو استبدال لفظ «بِيَدَيَّ» بلفظ «بذاتي» وهو يعلم أن مذهب السلف إثبات اليدين لله على الوجه الذى يليق بجلاله ، من غير تشبيه ، ولاتمثيل ، وهو أسلم وأعلم وأحكمُ من مذهب الخلف الذي يقول بالتأويل الذي يؤدي إلى تعطيل صفات الله .

ورحم الله من قال :

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وقد أوّل اليمين في سورة الزمر عند قوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّات بِيَمِينِهِ** ﴾ أى والسموات مضمومات ومجموعات بقدرته تعالى .

قال الزمخشري : والغرض من هذا الكلام تصوير عظمته ، والتوقيف على كنه جلاله لاغير ، من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة .

(جـ ٣ / ٨٧)

أقول هذا تأويل واضح من الصابوني لليمين بمعنى القدرة ، واستدل على ذلك بقول الزمخشري الذى أنكر القبضة واليمين ، ولايعفيه من هذا التأويل ما ذكره في الحاشية رقم (٦) :

وقال ابن كثير : « وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية ، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف » (انتهى) لأن الصابوني لم يأخذ به ، بل خالفه وأوّل الآية ، وإنما ذكره الصابوني في التعليق على أنه رأي ابن كثير في هذه الآية ، ولم يوافقه عليه ، بل وافق الزمخشرى في تأويله الذى جعله في أصل تفسيره .

ومما يؤيد هذا أنه أوّل الآية في سورة (ص) التى مَر ذكرها ولم يثبت اليدين لله تعالى .



الخضر نبي على الصحيح

التنبيه الخامس : ذكر الشيخ الصابوني عند تفسيره لقوله : تعالى في سورة الكهف آية ٦٥ : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا ﴾ «أى وهبناه نعمة عظيمة وفضلا كبيراً . وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه» ثم ذكر في الحاشية :

«الصحيح أن الخضر عليه السلام ليس بنبي ، وإنما هو من عباد الله الصالحين وأوليائه المقربين ، وقد أظهر الله على يديه هذه الكرامات والأمور الغيبية تعليماً للخلق فضل العبودية» .

(جـ ٢ / ١٩٨ من صفوة التفاسير)

وهذا الكلام عليه تنبيهات :

أولاً · لقد صحح الشيخ الصابوني القول بأن الخضر ولي ولم يذكر الدليل عليه مع أن الآيات تشير إلى نبوته :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الكهف : ٦٥] مضافة لله ، وقد استعمل القرآن هذا التعبير في حق الرسل والأنبياء :
منه قول تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ [ص : ٤١] مضافة لله ، وأيوب من الأنبياء .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ وقد استعمل القرآن «الرحمة» بمعنى النبوة في قوله تعالى عن نوح :
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [هود : ٢٨] .

فقد ذكر الشيخ الصابوني في مختصر ابن كثير تفسيرها فقال :
﴿ أرأيتم إن كنتُ على بينة مِن ربي ﴾ «أى على يقين وأمر جلى ، ونبوة صادقة : وهى الرحمة»

ويلاحظ القارئُ الشبه القوي بين قوله تعالى في حق نوح الرسول : ﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ وبين قوله في حق الخضر النبي : ﴿ وآتيناه رحمة من عندنا ﴾ فالتعبير واحد ، وهذا يؤكد نبوة الخضر عليه السلام .

٣ ـ قوله تعالى في حق الخضر : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ فكلمة ﴿ عِلماً ﴾ تفيد النبوة ، بدليل قوله تعالى في حق يوسف :
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ [يوسف : ٢٢]

وقد ذكر الشيخ الصابوني في مختصر ابن كثير تفسيز هذه الآية ﴿ آتيناه حكماً وعلماً ﴾ يعني النبوة .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ وعلَّمناه مِن لَدُنا عِلما ﴾ استعملت (لَدُنَّا) في حق الرسول ﷺ في قوله تعالى :
﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً ﴾ [طه : ٩٩].

فانظر التشابه في كلمة (لَدُنَّا) في حق الخضر ومحمد ﷺ .

٥ ـ قال الله تعالى يحكي قول الخضر عليه السلام :
﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف : آية ٨٢]
فما فعله الخضر من الأمور العجيبة كخرق السفينة وقتل الغلام

وإقامة الجدار لم تكن إلا بأمر الله الذي أوحى به إليه ، لأن علم الغيب من صفات الله المختصة به ، لا يُطلع على بعضه أحداً إلا من ارتضاه من الرسل والأنبياء فقط .

ودليل الرسل قول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ الله يَجْتَبِى مِنْ رُسلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [آل عمران : آية ١٧٩]

وقول الله تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٧].

فالرسل قد يُطلعهم الله علىٰ بعض المغيبات حينما يريد لِيبلِّغوا الرسالة ، ويُظهروا المعجزات لأقوامهم كما هو واضح في الآيتين ، وغير الرسل والأنبياء ليسوا بحاجة لذلك .

ودليل نبوته حديث الخَضر مع موسى عليهما السلام الذي رواه البخارى ومسلم ، وهو قول الخضر عليه السلام لموسى : « إنى على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه ، وأنت على علم مِن علم الله علّمكه الله لا أعلمه قال موسى : (هل أتبعك ؟) (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) .

[رواه البخاري في كتاب الأنبياء جـ ٤ / ١٢٨ / باب ٢٧]

وذِكرُ البخارى للحديث في كتاب الأنبياء ، وقوله في ترجمة باب ٢٧ حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ، حيث خصهما معاً في التسليم ، وهى الصيغة المعروفة فى حق الأنبياء والرسل .

وأيضاً ففي الحديث : أن الله تعالى خص كـلًّا منهما بعلم منه لايعلمه الآخر ، وهو علم الغيب ، كلّ ذلك يؤكد نبوّة الخضر عليه السلام

٦ ـ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ [الكهف : ٦٦].

إن موسى عليه السلام رسولٌ من أولي العزم يطلب من الخضر عليه السلام أن يكون تلميذاً له ليعلمه من علمه ، ويبعد أن يكون هذا من رسول إلى ولي ، وهو أدنى رتبة منه .
والقول بأن الخضر ولي فقط قد جرَّأ بعض الصوفية إلى قول القائل : بأن الوليَّ أعلى من النبي ، حتى قال أبويَزيد البسطامي : «خُضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله» .
وقد كذب شاعرهم حين قال :

مقام النبوة في برزخ فُوَيق الرسول ودون الولي

ومعلوم أن هذا الكلام باطل يخالف القرآن والسنة ، فالأنبياء هم صفوة الله من خلقه لايعلو فوقهم أحد مهما بلغ من الولاية ، فالخضر عليه السلام نبي وولي وليس بولي فقط .

الأولياء لايعلمون الغيب

ثانياً : ذكر الشيخ الصابوني عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف : ٦٥] (جـ ٢ : ١٩٨)

«أي علماً خاصاً بنا لايُعلم إلا بتوفيقنا ، وهو علم الغيوب . قال العلماء : هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى ويسمى العِلم اللَّدني يورثه الله لمن أخلص العبودية له ، ولا يُنال بالكسب والمشقة ، وإنما هو هِبة الرحمن لمن خصه الله بالقرب والكرامة» .

١ ـ ذكرت فيما سبق أن علم الغيب أمر خاص بالله ، وقد يُطلع على ماشاء منه رسُلَه وأنبياءه .

٢ ـ هذا التفسير الذي ذكره من قول الصوفية ، وفيه تناقض فبينما يقول : «هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى» ومعنى هذا أنه كسبي يحصل بالإخلاص والتقوى ، ثم يقول : «ولا ينال بالكسب والمشقة» .

٣ ـ إن القول بأن العلم اللَّدني لاينال بالكسب والمشقة وإنما هو هبة الرحمن . . . هذا خاص بالرسل والأنبياء ، أما غيرهم من الناس ولو كانوا أولياء فلا بُد لهم من التعلم لقول رسول الله ﷺ :

«إنما العلم بالتعلم . .» (حسن رواه الدارقطني وغيره) .

وعلى هذا يكون الخضر نبياً لأنه أُوتي بعض علم الغيب بدون كسب وتعلم وليس بولي فقط ، لأن الولي لايعلم الغيب ، ولابد له من التعلم بنص الحديث .

العلماء يرجحون نبوة الخضر

ثالثاً : قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) جـ ٤ ص ١٥٨ ما نصه : والعلماء مختلفون في الخضر : هل هو نبي ، أو رسول ، أو ولي ؟ . . ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللُّدُني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى : ﴿ وما فعلتُه عن أمرى ﴾ أى وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا ، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي ، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله عز وجل ، ولاسيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر ، وتعييب سُفن الناس بخرقها ، لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لايصح إلا عن طريق الوحى من الله تعالى . . إلى أن قال : وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لاطريق تُعرف بها أوامر الله ونواهيه ، وما يتقرب إليه من فعل أو ترك إلا عن طريق الوحي ، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى مايرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة ، فلا شك في زندقته ، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لاتحصى . . وبذلك تعلم أن مايدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة مافعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام وبدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره . . إلى أن قال في ص ١٦٢ :

وبهذا كله تعلم أن قتل الخضر للغلام ، وخرقه للسفينة ، وقوله : ﴿ ومافعلته عن أمرى ﴾ دليل ظاهر على نبوته . وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين ؛ ومما يستأنس به للقول بنبوته تواضع موسى عليه الصلاة والسلام له في قوله : ﴿ هل أتَّبعك على أن تُعلِّمَن مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾
وقوله : ﴿ سَتَجِدُنى إنْ شَاءَ الله صَابراً ولا أعصى لك أمرًا ﴾ مع قول الخضر له : ﴿ وكيف تصبِرُ على ما لم تُحِطْ به خُبراً ﴾ .

رابعاً : ذكر القرطبي في تفسيره (جـ ١١/١٦ - ٢٨) فقال : والخضر نبى عند الجمهور ، وقيل هو عبد صالح غير نبي ، والآية تشهد بنبوته ، لأن مواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي .

ثم قال عند قوله تعالى : ﴿ وما فعلتُه عن أمري ﴾ : يدل على نبوته ، وأنه يوحى إليه بالتكليف والأحكام ، كما أوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير أنه ليس برسول ، والله أعلم .





هل الخضر حي الآن ؟

يعتقد بعض الصوفية ، ومنهم الصاوي الذي أكثر الصابوني النقل عنه أن الخضر عليه السلام حي ، فقد قال في حاشية الصاوي على الجلالين (جـ ٣ / ٢٠) : والجمهور على أنه حي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة ، يجتمع به خواص الأولياء ، ويأخذون عنه ، وقد اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه .

أقول : إن هذا الاعتقاد باطل لادليل عليه ، فالله تعالى يخاطب رسوله محمد ﷺ بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ، أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] والخضر من البشر لا يخلد

ونسأل الصاوي ؛ ما هو ماء الحياة الذى شرب منه ؟ ومن الذي اجتمع به من الأولياء ؟ وأي شيء أخذوا عنه ؛ وما الدليل على أنه اجتمع برسول الله ﷺ ؟ إن الصاوي وأتباعه لا يستطيعون الإجابة على هذه الأسئلة ، وليس عندهم دليل .





يوسف المعصوم بريء النفس

التنبيه السادس : ذكر الشيخ الصابوني في تفسيره (٢ : ٥٦) عند قول الله في سورة يوسف آية ٥٢ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فقال : الأظهر أن هذا من كلام يوسف ، قاله لما وصله براءة النسوة له . وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِـالسُّوءِ ﴾ [يوسف آية ٥٣]

أي لا أُزكِّي نفسي ولا أُنزِّهها ، فإن النفس البشرية مَيالة إلى الشهوات ، قاله يوسف على وجه التواضع ، قال الزمخشري : «أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه ، لئلا يكون لها مُزكِّياً ، وبحالها مُعجَباً ومفتخراً». (جـ ٢ / ٥٦)

والتعليق عليه من وجوه :

١ ـ لم يذكر الشيخ الصابوني الدليل على مارآه الأظهر ، كما فعل في تصحيحه للخضر بأنه ولي ، والصحيح عند العلماء ما قام عليه الدليل .

٢ ـ عجيب من الشيخ الصابوني أن يأخذ بقول الزمخشري المعتزلي الذي لادليل عليه وفيه تعريض بيوسف الرسول المعصوم ، ومتى كان يوسف لنفسه مُزكياً ، وبحاله معجباً ومفتخراً ، حتى يقول ﴿ وما أُبرِّئُ نفسي . . ﴾ إن هذا الاتهام لايُوَجَّهُ إلى الرسل ومنهم

يوسف عليه السلام ، ولا يليق بهم ، ولاسيما حينما أعلن يوسف براءته ونزاهته حينما قال للعزيز : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ فكيف يقول الشيخ الصابوني عن يوسف «لا أزكي نفسي ولا أُنزهها» ؟ ! وكيف يُقر الشيخ الصابوني قولَ الزمخشري الذى يتنافى مع الأدب في حق يوسف عليه السلام وبراءته وفيه اتهام له بالعجب الذى يعد من الكبائر ، ويوسف بريء منه ؟ والتواضع لا مكان له هنا ، ولاسيما في مسألة يجرى فيها التحقيق لمعرفة المراود ، وقد أعلنت المرأة براءته حينما قالت : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُه عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّه لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ آية ٥١ ، فلا يُعقل أن يقول يوسف : ﴿ وما أُبرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ آية ٥٣ .

بل يبعد جداً أن يقول يوسف عليه السلام هذا الكلام الذى يمس عصمته وبراءته ونبوته ، ولاسيما بعد أن قال الله في حقه : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

[يوسف آية ٢٤]

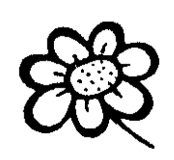
٣ ـ إن سياق القصة والكلام الذى قبلها يدل بوضوح على أن هذا القول من كلام امرأة العزيز ، وليس من كلام يوسف عليه السلام ، فأول القصة : ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصادقين * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنى لَم أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥١ ، ٥٢] .

أي ذلك الذى اعترفت به ، ليعلم يوسفُ أني لم أكذب عليه وهو غائب ، ثم قالت المرأة : ﴿ **وما أُبرِّئُ نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلا مارَحِمَ رَبي . .** ﴾ .

أي ما أُبرئً نفسي من مراودة يوسف فقد اعترفتُ بها ، لأن النفس البشرية تأمر وتميل إلى السوء إلا مَن رحمه الله وعصمه كيوسف عليه السلام .

٤ ـ إن اللحاق وهو الكلام الذي بعد القصة يدل أيضا بوضوح على أن قوله : ﴿ **وما أُبرِّئُ نفسى** ﴾ مِن قول امرأة العزيز وليس من قول يوسف عليه السلام لأن الآية التى بعدها تقول : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي** ﴾ [يوسف : ٥٤] .

لما تيقن الملك براءة يوسف باعتراف المرأة ، أمر أن يُخرج يوسف من السجن ويُؤتى به إليه ليجعله من المقربين إليه ، فثبت أن يوسف عليه السلام كان في السجن حينما جرى التحقيق في قصته ، فكيف يجوز أن ننسب له قولاً في محضر تحقيق الملك وهو غائب في السجن فيما يمس شرفه ونبوته ؟



تحقيق ابن كثير وابن تيمية

١ - كيف ترك الشيخ الصابوني قول ابن كثير الذي اختصره بنفسه ؟
فقد قال في مختصر الحافظ ابن كثير ج (٤٨١/٢) : في تفسير ﴿ **وما أبرىء نفسي** ﴾ تقول المرأة : ولست أبرّىء نفسى ، فإن النفس تتحدث وتتمنى ، ولهذا راودته .

ثم قال في تفسير : ﴿ إن النفس لأمَّارة بالسوء إلا مارَحِم ربى ﴾ (أى إلا من عصمه الله تعالى) وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعانى الكلام . وقد حكاه الماوردي في تفسيره ، وانتدب لنصره الإمام ابن تيمية رحمه الله فأفرده بمصنف على حدة .

وقد قيل إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام .. وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ، ولا ابن أبي حاتم سواه والقول الأول أقوى وأظهر ، لأن سياق الكلام كله من امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك .

٢ - ذكر ابن تيمية ما يؤيد القول الأول الذي هو من كلام امرأة العزيز ، وليس من كلام يوسف عليه السلام .
« الفتـــــــــــــــاوى ١٥ / ١٣٩ »



العلامة ابن القيم يُبرِّئ يوسف

ودليل آخر على ما ذكره ابن كثير هو قول العلامة المحقق ابن القيم الجوزية حيث قال في تفسير قوله تعالى ما نصه : ﴿ وما أُبرِّئُ نفسي ﴾ فإن قيل : فكيف قال وقت ظهور براءته : ﴿ وما أُبرِّئُ نفسي ﴾ قيل : هذا قد قاله جماعة من المفسرين وخالفهم في ذلك آخرون أجَل منهم وقالوا : إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف عليه السلام .. والصواب معهم من وجوه :

أحدها : أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها : ﴿ الآن حصَحصَ الحقُّ أنا راودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم أخُنهُ بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئُ نفسي .. ﴾ .

ومَن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قولٍ لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما ، والقول في مثل هذا لا يُحذف لئلا يوقع في اللبس فإن غايته أن يحتمل الأمرين فالكلام الأول أولى به قطعاً .

والثاني : أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه ، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها : ﴿ الآن حَصحَصَ الحق ﴾ والسياق صريح في ذلك ، فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ . [يوسف ٥٠]

فأرسل إليهن الملك وأحضرَهن ، وسألهن ، وفيهن امرأته فشهدن

ببراءته ونزاهته في غيبته ، ولم يُمكنهن ، إلا قول الحق ، فقال النسوة : ﴿ **حاش لله ما علمنا عليه من سوء** ﴾ وقالت امرأة العزيز : ﴿ **أنا راودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين** ﴾ .

الثالث : الصواب أنه من تمام كلامها فإن الضمائر كلها فى نسق واحد يدل عليه وهو قول النسوة : ﴿ **ما علمنا عليه من سوء** ﴾ وقول امرأة العزيز : ﴿ **أنا راودتُه عن نفسه وإنه لَمن الصادقين** ﴾ هذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر .

ثم اتصل بها قوله : ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخُنه بالغيب** ﴾ فهذا هو المذكور أولاً بعينه . فلا شيء يفصل الكلام من نظمه ، ويُضمَر فيه قول لا دليل عليه .

فإن قيل فما معنى قولها : ﴿ **ليعلَم أني لم أخُنهُ بالغيب** ﴾ ؟

قيل : هذا من تمام الاعتذار ، قرنت الاعتذار بالاعتراف ، فقالت ذلك : أي قولي هذا وإقراري ببراءته ، لِيَعلم أني لم أخُنه بالكذب عليه في غيبته ، وإن خُنته في وجهه في أول الأمر ، فالآن يعلم أني لم أخُنه في غيبته ثم اعتذرت عن نفسها بقولها : ﴿ **وما أُبرِّئُ نفسي** ﴾
ثم ذكرت السبب الذي لأجله لَم تُبرِّئ نفسها ، وهو أن النفس أمَّارة بالسوء . فتأمَّل ما أعجب أمر هذه المرأة ، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها ، ثم اعتذرت عن نفسها ، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته ، وأنه إن لم يرحم عبده فهو عرضة للشر ، فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا

الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظاً ومعنًى ، وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت ، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي علىٰ دين الشرك فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالىٰ وبحقه ، وإن أشركوا معه غيره[1] ؛ ولا ننسىٰ قول سيدها لها في أول الحال ﴿ واستغفري لذنبك إنكِ كنت من الخاطئين ﴾

نقلا من (التفسير القيم) لابن القيم (ص ٣١٦) .

وها هو سيد قطب يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أُبَرِّئُ نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء ﴾ وفي هذه الفقرَة تبدو المرأة مؤمنة مُتحرِّجة تُبرِّئُ نفسها من خيانة يوسف عليه السلام في غيبته ، ولكنها تتحفظ فلا تدَّعي البراءة المطلقة ، لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحمه ربي .



(١) كان المشركون من العرب يعترفون بوجود الرب ، وذلك حين سألهم القرآن :
﴿ قل مَن رَب السمواتِ والأرضِ قل الله . . ﴾ [الرعد : ١٦]
ولكنهم كانوا يُشركون في دعائهم غير الله تقرباً له ، وطلباً لشفاعة أوليائهم عند الله كما يفعله الكثير من المسلمين الجاهلين مع الأسف الشديد .

هل يسمع الأموات ؟

التنبيه السابع : ذكر الشيخ الصابوني عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاة ﴾ [الملك : ٢] .

فقال في تفسيره (جـ ٣ : ٤١٥) قال العلماء : ليس الموت فناءً وانقطاعاً ، وإنما هو انتقال من دار إلى دار ، ولهذا ثبت في (الصحيح) أنَّ الميت يسمع ويرىٰ ، ويحس وهو في قبره كما قال عليه السلام : « إن أحدكم إذا وضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه ، وإنه ليَسمع قرع نعالهم » . . الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى ومسلم .

وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يُجيبون »

فالموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقتها للجسد . اهـ .

وكلامه هذا عليه تعليقات :

١ - إن استدلال الصابوني بالحديث الأول علىٰ أنّ الميت يسمع ويرى ويحس وهو في قبره غير صحيح ، لأن الحديث يفيد - حسب ظاهره - السماع فقط ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، فما أدري من أين أخذ أن الميت (يرىٰ ويحس) ؟ ! والحديث ليس فيه ذكر

لهما ؟؟ ولاسيما أنه يقول : وفي الصحيح ، ويقصد به « البخاري » وما ورد من إحساس من الميت بالعذاب في قبره فلا يقاس على الدنيا .

٢ - إن السماع الوارد في الحديث مؤقت ، وذلك حينما يأتي الملَكان فيسألان الميت حسب نصوص الأحاديث الأخرى التي بينت ذلك ، وهي ما يلي :

(أ)- ذكر ابن الأثير في جامع الأصول (جـ ١١ : ١٧٨ ، ١٧٩) حديثاً قال فيه : « وإن الكافر . . فذكر موته قال : فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيُجلسانه . . الخ »

(رواه أبو داود وقال محقق جامع الأصول : إسناده حسن) .

(ب)- ورد في الحديث سؤال الكافر في القبر وفيه : « فتُطرح روحه طرحاً فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان . . »

(رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٦٧٢) .

(جـ) ذكر المناوي عند شرحه لحديث سؤال الملكين فقال في فيض القدير : جـ (٢ : ٣٧٢) : وفي رواية : « فتعاد روحه في جسده » وظاهره في كله (أي الجسد) ونقله عن الجمهور ، لكن قال ابن حجر : ظاهر الخبر في النصف الأعلى . .

ثم قال عند شرح قوله ﷺ :(فيُقعدانه) المراد بالإقعاد التنبيه والإيقاظ عما هو عليه بإعادة الروح فيه . اهـ .

(د) ذكر المناوي عند شرح قوله ﷺ : « يسمع قرع نعالهم » أي صوتها عند الرءوس . قال القاضي : « يعني لو كان حياً ،

فإن جسده قبل أن يُقعده الملَك ميت لاحس فيه » .

٣ - أما الحديث الثاني الذي استشهد به الشيخ الصابوني علىٰ أن الميت يسمع ويرىٰ ويحس وهو في قبره فليس فيه نص إلا علىٰ السماع فقط : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » فمِن أين أخذ أن الميت « يرىٰ ويُحس » والحديث ليس فيه ذكر لهما ؟؟!

٤ - إن السماع الوارد في هذا الحديث مؤقت ، ومقيد عند إحيائهم كما دلت عليه الرواية الآتية :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ علىٰ قليب بدر (مكان قتلى المشركين) فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول » فَذُكِرَ لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ : « إنهم الآن لَيعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ حتى قرأت الآية .

(رواه البخاري ج ٥/ ٩)

وقال قتادة راوي حديث أبي طلحة الذي في معناه : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وندامةً وحسرةً .

(رواه البخاري ج ٥/ ٩)

* * *

يؤخذ من الحديث ما يلي :

١ - قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون ما أقول » ومفهومه أنهم لا يسمعون بعد الآن ، لأن الله أحيا قتلى بدر معجزة لرسول الله ﷺ كما قال قتادة راوي الحديث : « حتى أسمعهم قوله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمةً وندامةً وحسرةً » .

٢ - ويمكن التوفيق بين قول ابن عمر وعائشة بما يلي :

إن الأصل هو عدم سماع الأموات كما صرح به القرآن ، ولكن الله أحيا قتلى المشركين معجزة للرسول ﷺ حتى سمعوا ، كما صرح قتادة ، وكذا الميت عندما تعاد إليه روحه لسؤاله . وحتى لايتعارض القرآن مع الحديث ، لأن فيه آيات تنفي سماع الموتى .

فالسماع مقصور على ما جاءت به النصوص الصريحة .

٣ - ويؤيد هذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال : « ومن العلماء من قال : إن الميت في قبره لا يسمع ما دام ميتاً ، كما قالت عائشة ، واستدلت به من القرآن ؛ وأما إذا أحياه الله فإنه يسمع كما قال قتادة : أحياهم الله له » (مجموع الفتاوي جـ ٤ / ٢٩٩)

إقرار الرسول ﷺ لفهم الصحابة

إن في حديث القليب دلالة علىٰ أن الموتىٰ لا يسمعون وذلك يتضح من مبادرة الصحابة ، وفي مقدمتهم عُمر إلىٰ قولهم : ما تُكلِّم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فهو يدل علىٰ رسوخ هذه الفكرة عندهم ، وإقرار النبى ﷺ لسؤالهم هو تأكيد لها أيضاً ، ولكنه ﷺ نبههم للخصوصية لأهل القليب .

ويزيد الأمر وضوحاً ما رواه أحمد بلفظ : « فسمع عمر صوته » فقال : يا رسول الله : أتناديهم بعد ثلاث ، وهل يسمعون ؟ يقول الله عز وجل : ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ ، فقال :
« والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوا » [قال الألباني : سنده صحيح على شرط مسلم] .

ووجه الدلالة منه استشهاد عمر بالآية ، ولو كان معناها غير ما فهمه وتكلم به لأنكره النبى ﷺ وبين أن الآية لا تنفي مطلقاً سماع الموتىٰ ، فلما لم ينكره ، دل ذلك علىٰ صحة استدلال عمر بها والله أعلم .



القرآن والحديث ينفيان سماع الأموات

قال الله تعالى :

١ - ﴿ والذين تدعون مِن دونه ما يملكون مِن قِطمير * إن تَدْعُوهُمْ لاَ يسْمَعُوا دُعاءَكُمْ . . ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤]

٢ - ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثُهم الله ثم إليه يُرجعون ﴾ [الأنعام : ٣٦]

(يعني بذلك الكفار ، لأنهم موتى القلوب ، فشبههم الله بأموات الأجساد) «ذكره ابن كثير»

٣ - ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ، لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لاَ يَسْمَعُوا ﴾

[الأعراف : ١٩٧ ، ١٩٨]

٤ - ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَآءُ وَلاَ الأَمْوَتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢]

٥ - ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

[النحل : ٢٠ ، ٢١]

٦ - ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يدْعوا مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥]

(أي لا يسمعون) [ذكره ابن كثير والطبري]

٧ - هذه الآيات تفيد عدم سماع الموتى ، وعدم قدرتهم على الرؤية ، وعدم شعورهم وإحساسهم وتَرُدُّ على ما ذكره الشيخ الصابوني من أن الميت يسمع ويرى ويحس .

أما الأحاديث التي استشهد بها الصابوني على سماعهم ، فكما رأيت أيها القارئ أن سماعهم مؤقت عندما يُحييهم الله لسؤال الملكين ، أو لتوبيخ قتلى المشركين ، وقد خالف الصابوني مذهبه الفقهي الحنفي الذي يتمسك به ، ولعلّه لم يقرأ كتاب : (الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات) تأليف العلامة نعمان ابن المفسر الشهير محمود الألوسي ، وهو مطبوع ومحقق ، أو لعله قرأه ولكن . .

٨ - قال ﷺ : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلِّغوني عن أمتي السلام »(صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع) .

فإذا كان الرسول ﷺ لا يسمع السلام عليه إلا بواسطة الملائكة ، فغيره أولى بعدم السماع .

٩ - قال ﷺ : « ما مِن أحد يُسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السلام » .

(رواه أبو داود وحسن إسناده الألباني في مشكاة المصابيح رقم ٩٢٥) .

مفهوم الحديث أن الرسول ﷺ لا يسمع السلام ولا يرد عليه قبل رَدِّ روحه عليه ، وهي خاصة له دون غيره ﷺ .

التنبيه الثامن : لقد زَيَّن الصابوني تفسيره [1] في أول ورقة بأربعة أحاديث بعضها موضوع ، وتخريجها كلها خطأ ، ولا تخفىٰ على طالب علم وهي كما يلي :

أولاً : قوله قال عليه الصلاة والسلام :
« **أشرافُ أمتي حملة القرآن** » (الترمذي)

ففي هذا القول ملاحظات :

١ - إن هذا الحديث لم يروه الترمذي ، وإنما رواه الطبراني وغيرُه كما جاء في شرح الجامع الصغير للمناوي (جـ ١ / ٥٢٢) .
٢ - قال المناوي في فيض القدير عند تخريجه لهذا الحديث :
(فيه سعد الجرجانى قال البخارى : لايصح حديثه هذا)
٣ - علق المحدث الألباني في المشكاة علىٰ هذا الحديث بقوله :
(قال الذهبي : لا يصح حديثه هذا عن نَهشَل القرشي وهو هالك) .
٤ - ذكر ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في المجلد الرابع من سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ورَدَّ هذا الحديث بقوله : « إن الحديث الأول الذي عزاه (الصابوني) للترمذي كذباً هو أيضا لا

---

(١) تفسير صفوة التفاسير الطبعة الرابعة طبع على نفقة المحسن الشربتلى ، وفى تفسير مختصر ابن كثير طبع على نفقة المحسن الشربتلى .

يصح كما قال إمام المحدثين البخاري ، لأنه من رواية نهشل بن سعيد ، وهو كذاب كما قال الإمام ابن راهويه والطيالسي ، وفيه راو آخر واهٍ » ولذلك قال الشيخ الألباني عن الحديث في ضعيف الجامع : (موضوع) رقم ٩٧٢ .

٥ - رجعت إلى تقريب التهذيب ، وتهذيب التهذيب لابن حجر في أسماء الرجال فوجدت كلام الشيخ الألباني مطابقاً وصحيحاً في أن نهشل بن سعيد مكي خراساني متروك وكذبه إسحق بن راهويه والطيالسي وغيرهما . (جـ ٢ / ٣٠٧) من التقريب .

ثانياً : أورد الصابوني أيضا في أول ورقة من تفسيره حديثاً نصه :
« مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة » (رواه البخاري)

هذا الحديث لم يروه البخاري في صحيحه ، بل رواه الترمذي وهو صحيح . (انظر جامع الأصول ج ٨ / ٤٩٨) .

ثالثاً : الحديث الثالث الذي أورده في أول تفسيره ونصه : « اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » . (رواه البخاري)

هذا الحديث لم يروه البخارى ، بل رواه مسلم والإمام أحمد (انظر صحيح الجامع رقم ١١٧٦)

رابعاً : الحديث الرابع : « تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضِلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » . (متفق عليه)

هذا الحديث أيضاً ليس من المتفق عليه ، بل رواه الإمام مالك

بلاغاً ، وله شاهد حسن يتقوى به (جامع الأصول جـ١ / ٢٧٧) .

خامساً : إن الصابوني مسئول عن هذه الأحاديث التي زيّن بها كتابه : « صفوة التفاسير » ومختصر ابن كثير ، لأنها وإن لم تكن بقلمه ، فقد اطلع عليها ورضيها ونشرها ، والواجب أن يصححها مع بقية الأخطاء . علماً بأن الحديث الأول الموضوع ذكره أيضاً الصابوني في كتابه : (من كنوز السنة ص١٤٢) .

وهناك أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة في كتب الصابوني ، ولا سيما في مختصر ابن كثير الذي ادعى أنه اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة ، وحذف الضعيف منها وقد أثبت الأحاديث الأربعة السابقة على وجه الغلاف مع الحديث الموضوع السابق .

وعلى سبيل المثال فقد صحح الصابوني حديثاً في مختصر ابن كثير وقال في الحاشية (اخرجه مسلم . .) (جـ٣ / ٣٣٨) .

فأوهم القارئ أن الحديث أخرجه مسلم وهو صحيح !

ولما رجعت إلى تفسير ابن كثير وجدته يقول عن الحديث : تفرد به مسلم ابن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد ، وقد تكلم فيه بعض الأئمة (جـ / ٤ / ١٨٢)

أقول : لم يفرق الصابوني - أستاذ التفسير في جامعة أم القرى سابقاً - بين الإمام مسلم بن الحجاج القشيري صاحب (صحيح مسلم) ، وبين مسلم بن خالد الزنجي !! . .

لابد للذي يؤلف كتباً ، ولا سيما في التفسير أن يكون على علم بالحديث ورجاله ، لأن السنة هي المفسرة للقرآن ، قال الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لِتُبيِّـن للناس ما نُزِّل إليهم ، ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل : ٤٤]

لقد حذر العلماء من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، كالإمام مسلم في مقدمة كتابه ، وابن حبان في مقدمة صحيحه ، حيث قال ابن حبان : « باب دخول النار لمن نسب شيئاً إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته » واستدل بما ورد عن المصطفى ﷺ أنه قال :

١ - « مَن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »
(حسن رواه أحمد)

٢ - « لا تكذبوا عليَّ ، فإنه من يكذب عليَّ يَلج النار »
(رواه مسلم)

٣ - « مَن حدَّثَ عني بحديث يُرىٰ أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين »
(رواه مسلم)

٤ - قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه : « باب النهي عن الحديث بكل ما سمع » مستدلاً بقوله ﷺ: « كفىٰ بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكل ما سمع » (رواه مسلم في مقدمة صحيحه)

٥ - ذكر الإمام النووي في أول شرحه لمسلم أن الحديث الصحيح نقول فيه : قال الرسول ﷺ ، بعكس الأحاديث الضعيفة فيقال فيها : « رُوِيَ » بصيغة المجهول لتتميز عن الصحيح ، أما

الأحاديث الموضوعة فباتفاق العلماء على أنه لا يجوز أن نقول فيها : « قال عليه الصلاة والسلام » - كما فعل الصابوني - لأنها مكذوبة يجب التحذير منها .



القرآن ليس فيه سجع

التنبيه التاسع : ذكر الصابوني في صفوة التفاسير في قسم البلاغة أن في القرآن سجعاً فقال في (جـ٣ / ٤٥٥) :

السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات مثل :
(مدرارا ، أنهارا ، وقارا ، أطوارا) وكرر هذا كثيراً .

والتعليق على هذا من وجوه :

أولاً : لا يقال إن في القرآن سجعاً ، لأن السجع من أقوال الكهنة المذموم .

١ - قال الله تعالى ينفي عن القرآن الشعر وقول الكهنة :
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة ؛ آية ٤١ ، ٤٢]

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : اقتتلت امرأتان من هُذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقضىٰ رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرةُ عبدٍ أو وليدة ، وقضىٰ بدية المرأة علىٰ عاقلتها ، وورثها ولدها ومَن معه ، فقال حمل بن النابغة الهذلي : يا رسول الله ، كيف يُغرم من لا شرب ولا أكَل ، ولا نطق ولا استهَل ، فمثل ذلك يُطَل ؟!! فقال رسول الله ﷺ : **« إنما هذا من إخوان الكهان »** من أجل سجعه الذي سجَّع . (متفق عليه)

٣ - قال السيوطي في كتابه : الإتقان في علوم القرآن (جـ ٣ : ٣٣٤) حول السجع في القرآن : وهل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ خلاف : الجمهور علىٰ المنع ، لأن أصله من سجع الطير ، فشَرُف القرآن أن يُستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالىٰ ، فلا يجوز وصفه بصفةٍ لم يرد الإذن بها .

قال الرماني في إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يُقال في القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذي يُقصد في نفسه ، ثم يحال المعنىٰ عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ، ولا تكون مقصودة في نفسها ، قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيباً ، وتبعه علىٰ ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري ، وأصحابنا كلهم .

قال : وذهب كثير من الأشاعرة إلىٰ إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام . . إلىٰ أن قالوا : وبنَوا الأمر في ذلك علىٰ تحديد معني السجع ، فقال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على حَدٍّ واحد ، وقال ابن دريد : سجعت الحمامة معناه ردَّدت صوتها . قال القاضي : وهذا غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال : هو سجع مُعجز ، لجاز أن يقولوا : شِعر معجز ، وكيف والسجع مما كانت

تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر ، وقد قال ﷺ : « أسجع كسجع الكهان » ؟ فجعله مذموماً

(انتهى كلام السيوطي) .

٤ - ذكر الزركشي في كتابه : (البرهان في علوم القرآن) كلاماً ينفي وجود السجع في القرآن ، وكذلك القاضي الباقلاني .

٥ - لقد خالف الصابوني مذهب الإمام الأشعري حين قال بوجود السجع في القرآن ، وهو الذي دافع عن الأشعرية في كتاباته في مجلة المجتمع ، مما اضطر الدكتور صالح الفوزان أن يرد عليه ، وكذلك تبعه الشيخ سفر الحوالي الغامدي المحاضر في الجامعة الإسلامية ، وكذلك الشيخ إدريس ، وأخيراً سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وطبع الرد في كتاب سماه : (تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل) علماً بأن الإمام الأشعري رحمه الله رجع عن مذهبه الذي يدافع عنه الصابوني ، وألف كتابه (الإبانة) المعروف ، وقد أثبت فيه الصفات لله ، ونفىٰ عنها التأويل .



القرآن ليس فيه مجاز

التنبيه العاشر : ذكر الصابوني في تفسير صفوة التفاسير (جـ ٢ / ١٧٤) بعنوان : لطيفة : ذُكر أن عالماً ممن ينكر المجاز والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخ فاضل عالم منكراً عليه دعوى المجاز ، وكان ذلك السائل أعمى - فقال له الشيخ ما تقول في قوله تعالى : **﴿ ومَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾** [الإسراء : ٧٢] .

هل المراد بعمىٰ الحقيقة وهو عمىٰ البصر ، أم المراد به المجاز وهو عمىٰ البصيرة ؟ فبهت السائل وانقطعت حجته .

أقول : هذه القصة التي ذكرها الصابوني ليس فيها دليل علىٰ وجود المجازِ في القرآن الكريم :

١ - إن القرآن الكريم ذكر في سورة الحج قوله تعالى : **﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور ﴾** [آية ٤٦]

فهذا النوع من عمىٰ القلب المراد بالآية التى استدل بها الصابوني على وجود المجاز وهي قوله تعالى : **﴿ ومَن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضَلُّ سبيلا ﴾** ولا دليل له فيها .

٢ - إن الشيخ الصابوني نفسه حينما فسر الآية قال : (أي ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب ، لا يهتدى إلىٰ الحق ولا إلىٰ الخير فهو في

الآخرة أشد عمًى وأشد ضلالاً) (جـ ٢ / ١٧٠) من صفوة التفاسير، فتفسير الصابوني للآية يخالف القصة التي ذكرها واستدل بها علىٰ المجاز إن صحت .

٣ - ذكر الصابوني في الحاشية رقم (٤) قوله : هذا كله من عمى القلب ، وقيل المراد أن يُحشر يوم القيامة أعمىٰ البصر لقوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمياً وبُكماً وصُمًّا . . ﴾ [الإسراء : ٩٧]

فهذا القول الذي ذكره الصابوني يعارض القصة التي ذكرها ليستدل علىٰ وجود المجاز .



تقسيم العمى

إن العمىٰ ينقسم إلى قسمين : ١ - عمى القلب . ٢ - عمى البصر .

١ - عمىٰ القلب : كما في هذه الآية التي ذكرها الصابوني في القصة واستشهد بها علىٰ وجود المجاز في القرآن ، وهو غير صحيح لأن الآية صريحة من أن المراد من قوله تعالى : ﴿ **ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضلُّ سبيلا** ﴾ هو عمىٰ القلب ، وليس عمى البصر ، بدليل قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ **وأضَلُّ سبيلا** ﴾ .

٢ - عمىٰ البصر : كالآية التي ذكرها الصابوني في الحاشية : ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آياتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾[سورة طه : ١٢٤ - ١٢٦]



العلماء ينكرون المجاز في القرآن

لقد أنكر وجود المجاز جمع من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث قال في كتابه : (منع جواز المجاز في المُنزَل للتعبد والإعجاز) :

(وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه ، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر ، فنقول لمن قال : رأيت أسداً يرمي ، ليس هو بأسد ،وإنما هو رجل شجاع ، فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه ، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن ؛ وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن ، وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته ، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم .

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا : لا يَدَ ، ولا استواء ، ولا نزول ، ونحو ذلك كثير من آيات الصفات لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها ، بل هى عندهم مجازات ، فاليد عندهم مستعملة في النعمة أو القدرة ، والاستواء في الاستيلاء ، والنزول نزول أمره ، ونحو ذلك ، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق المجاز .

مع أن الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه ، والإيمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ، ولا تعطيل ولا تمثيل) . (ملحق جـ ٩ من أضواء البيان ص٨) .

التفسير الصحيح لمعنى لا إله إلا الله

التنبيه الحادي عشر : ذكر الصابوني معنى لا إله إلا الله عند قول الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التغابن : ١٣] .

فقال في تفسيرها : (أي الله جل وعلا ، لا معبود سواه) :

١ - أقول هذا التفسير فيه نظر ، إذ هناك معبودات كثيرة غير الله ، فمن الناس من يعبد الشمس والقمر والنجوم والأصنام والأولياء والحكام وغيرها كثير ، لكن التعبير الصحيح أن يقال في تفسير الآية : ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ الله جل وعلا لا معبود بحق سواه ، فإضافة كلمة (بحق) واجبة ، حتى تخرج جميع المعبودات التي لا تُعبد بحق ، بل تعبد بالباطل .

قال الله تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحقُّ ، وأنما يَدعونَ من دونه الباطلُ ، وأن الله هو العلِيُّ الكبيرُ** ﴾ [لقمان : ٣٠]

لذلك أنكر المشركون قول (لا إله إلا الله) لأنهم عرفوا معناها الحقيقي وهو ترك عبادة الأولياء الممثلة في الأصنام ، وقد حكى القرآن عنهم ذلك فقال عن المشركين : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرونَ * ويقولون أئِنَّا لتاركوا آلهتنا لِشاعر مجنونٍ بل جاء بالحق وصدَّق المرسلينَ** ﴾ [الصافات : ٣٥ - ٣٧] .

هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة المعراج ؟

التنبيه الثانى عشر : ذكر الصابوني في تفسيره صفوة التفاسير في الحاشية جـ٣ ص٢٧٣ في سورة النجم ما نصه :

(ومذهب أهل السنة أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية ، ولهم أدلة من السنة النبوية)

أولاً : لم يذكر الصابوني الدليل على هذا الكلام سوى ادعائه أن لهم أدلة من السنة النبوية .

ما هى الأدلة من السنة النبوية ؟ لم يذكر لنا حديثاً واحداً !

ثانياً : إن مذهب أهل السنة أن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية كما يزعم الصابوني ، والدليل على ذلك ما يأتي :

١ - لقد صح عن عائشة أنها قالت : « **مَن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفِرية على الله** » (متفق عليه) .

وفى رواية ثانية للبخاري أنها قالت : « **من حدَّثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول لا تُدرِكه الأبصار** » .

تحقيق العلامة الشنقيطي

٢ - ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطي تحقيقاً علمياً رائعاً في كتابه (أضواء البيان) ج ٣ ص ٣٦٣ ما نصه :

التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه ﷺ لم ير ربه بعين رأسه ، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه فالمراد به رؤية القلب ، كما في صحيح مسلم : **« أنه رآه بفؤاده مرتين »** لا بعين الرأس .

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن هذه المسألة بعينها فأفتاه بما مقتضاه : أنه لم يره . عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ : **« هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنَّى أراه »** ؟ (رواه مسلم)

.... وفى رواية : **« رأيت نوراً »** هذا لفظ مسلم .

وقال النووي في شرحه لمسلم : أما قوله ﷺ : **« نورٌ أنَّى أراه »**!! بفتح الهمزة في (أنى) وتشديد النون وفتحها ؛ و (أراه) بفتح الهمزة : هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات . ومعناه : حجابه نور فكيف أراه ؟! قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله : الضمير في (أراه) عائد الى الله سبحانه وتعالى ، ومعناه : أن النور منعني من الرؤية ، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه .

وقوله ﷺ : « رأيت نوراً » معناه رأيت النور فحسب ، ولم أر غيره .

قال مقيده عفا الله عنه (الشنقيطى) : التحقيق الذي لا شك فيه هو : أن معنى الحديث هو ما ذكر من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته لقوة النور الذي هو حجابه .

ومن أصرح الأدلة على ذلك أيضاً حديث أبي موسى (المتفق عليه) **« حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »** وهذا هو معنى قوله ﷺ : **« نور أنّى أراه »** ؟ أي كيف أراه وحجابه نور من صفته أنه لو كشفه لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه .

وقد قدمنا : أن تحقيق المقام في رؤية الله جل وعلا بالأبصار أنها جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة ، بدليل قول موسى :

﴿ ربِّ أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

لأنه لا يجهل المستحيل في حقه جل وعلا ، وأنها جائزة شرعاً ، وواقعة يوم القيامة ، ممتنعة شرعاً في الدنيا قال : ﴿ لَنْ تراني ، ولكن انظرْ إلى الجبلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ جعله دَكًّا ﴾

[الأعراف ١٤٣]

ومن أصرح الأدلة في ذلك حديث : **« إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا »** . (في صحيح مسلم وصحيح ابن خزيمه)

تحقيق شيخ الإسلام

٣ - وقال ابن تيمية في الفتاوى ج ٦ ص ٥٠٩ ما نصه :

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصريحة على نفيه أولى ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نورٌ . أنَّىٰ أراه » ؟ . . .

وقال ابن تيمية في ص ٥١٠ ما نصه :

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناسِ والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ ﴾ [الإسراء : ٦٠]

قال : هي رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به ، وهذه (رؤيا الآيات) لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صدقه قوم وكذبه قوم ، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره ، كما ذكر ما دونه .

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة ، واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه ، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصة ، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس والقمر .

تحقيق الحافظ ابن حجر

٤ - ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٦٠٨/٨ حول الرؤية فقال :
(وقال عياض : رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلا ، وثبتت الأخبار الصحيحة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة ، وأما في الدنيا فقال مالك : إنما لم يُر سبحانه في الدنيا لأنه باق ، والباقي لا يُرى بالفاني ، فإذا كان في الآخرة ورُزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي . . قلت : ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه : « **واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** » . . إلى أن قال : وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه ، فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها ، واختلف عن أبي ذر ، وذهب جماعة إلى إثباتها . . ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه ؟ وعن أحمد كالقولين ، قلت جاء عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مُقيدة ، فيجب حمل مطلقها على مقيدها .

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى** ﴾ ﴿ **ولقد رآهُ نزلةً أُخرى** ﴾ قال : رأى ربه بفؤاده مرتين ، وله من طريق عطاء قال : رآه بقلبه ، وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس قال : لم يره بعينه ، إنما رآه بقلبه ، وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي

عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب) انتهى .

٥ - الخلاصة : إن مذهب أهل السنة والجماعة الاعتقاد بأن الرسول ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج رؤية بصرية كما زعم الصابُوني وقد تقدمت الأدلة على ذلك من أقوال العلماء الموثوق بهم .

إن هؤلاء العلماء قد اعتمدوا على الكتاب والسنة ، والأدلة العقلية كما تقدم .



الاستهزاء واقع بالمنافقين

التنبيه الثالث عشر : قال الصابوني عند قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ أي الله يجازيهم على استهزائهم بالإمهال ثم بالنكال . قال ابن عباس : يسخر بهم للنقمة منهم ويملي لهم كقوله تعالى : ﴿ وأملي لهم إن كيدي متين ﴾ قال ابن كثير : هذا إخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فأخرج الخبر عن الجزاء مخرج الخبر عن الفعل الذي استحقوا العقاب عليه فاللفظ متفق والمعنى مختلف ، . . . ج ١ / ٣٦ .

ثم قال في ص ٣٩ : سمي الجزاء على الاستهزاء استهزاء بطريقة المشاكلة ، وهي الاتفاق باللفظ والاختلاف في المعنى .

أقول هذا الكلام عليه تعليقات من عدة وجوه :

١ - هذا التفسير من الصابوني لمعنى الاستهزاء تكلف وتأويل لا يجوز ، فالأفعال التي وصف الله بها نفسه ، أو وصفها بها رسول الله يجب قبولها على حقيقتها ، ونفي التشبيه عنها ، وتفويض كيفيتها إلى الله من غير أن يشتق له اسم أو صفة ، فلا يقال : ماكر ، ولا مخادع ، ولا مستهزئ . تعالى الله عن ذلك .

٢ - إن قول ابن عباس الذي استشهد به الصابوني قد زاد فيه جملة (ويُملي لهم) وقد ذكرها ابن كثير في جـ ١ / ٥٢ بدون هذه

الزيادة ، فلا أدري من أين أتى بها ؟ ولعله زادها ليعزز تفسيره .

٣ - إن الذي نقله الصابوني عن ابن كثير ليس من قوله ، وإنما نقله عن ابن جرير كما هو واضح في جـ ١ / ٥١ حيث قال ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ **الله يستهزئ بهم ويَمُدهم في طُغيانهم يَعمهون** ﴾ [البقرة : ١٥]

وقال ابن جرير : أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتَبِسْ من نورِكم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمِسوا نوراً ، فضُرب بينهم بسُورٍ له بابٌ ، باطنه فيه الرحمةُ ، وظاهِرُهُ مِن قِبَله العذابُ** ﴾ [الحديد : ١٣]

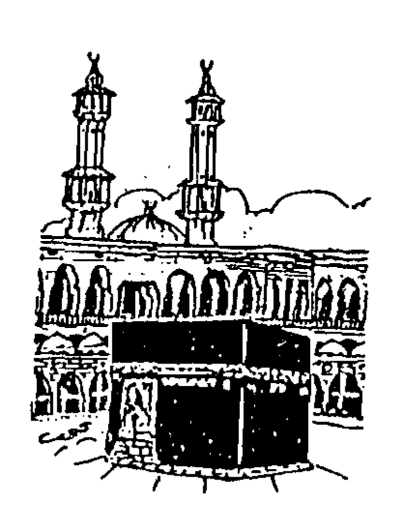
قال فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قائل هذا القول .

ثم ذكر أقوالاً عديدة أخذ الصابوني الذي وافق هواه منها ، ولم يأخذ بالقول الذي رجحه ابن جرير الطبري ، ونقله عنه ابن كثير ، وهذا نصه ج ١/ ٥١ :

وقال آخرون إن معنى ذلك أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلَوا إلى مَردتهم قالوا إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به ، وإنما نحن بما نُظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون ؛ فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني

من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة [1] يعني من العذاب والنكال .

ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره ، لأن المكر والخُداع والسخرية على وجه اللعب والعبث مُنتف عن الله عز وجل بالإجماع ، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك .



---

(١) وزاد في الطبري تتمة هذه الجملة : (كما أظهروا للنبي ﷺ والمؤمنين في الدنيا ما هم على خلافه في سرائرهم) انظر الطبري جـ ١ / ١٠٣ .

تحقيق العلامة ابن القيم

وقد ذكر العلامة ابن قيِّم الجوزية في كتابه : (إعلام الموقعين) أقوالاً حول الموضوع ، واختار منها واحداً فقال : (وقيل : وهو أصوب ، بل تسمية ذلك حقيقة على بابه ، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي ، وكذلك الكيد والمخادعة ؛ ولكنه نوعان :

قبيح : وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه .

وحسن : وهو إيصاله إلى من يستحقه عقوبة له ، فالأول مذموم ، والثاني ممدوح ، والرب تعالى إنما يفعل مِن ذلك ما يُحمد عليه ، عدلاً منه وحكمة ، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب ، لا كما يفعل الظلمة بعباده ، وأما السيئة فهي فعله مما يسوء ، ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها ، فهي سيئة له حسنة من الحكم العدل) .
(جـ ٣ / ٢١٧ ، ٢١٨)



خلاصة البحث

إن مذهب أهل السنة والجماعة ، وعقيدة السلف التي هي أسلم وأعلم وأحكم عدم تأويل هذه الصفات ، إذ أن الاستهزاء بالمنافقين واقع بهم يوم القيامة ، حيث يحشرهم الله مع المؤمنين كما كانوا في الدنيا ، ويظن المنافقون أنهم يستفيدون من المؤمنين فيخيب ظنهم ، وقد صور القرآن هذا الاستهزاء بهم أروع تصوير فقال : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبِسْ مِن نُورِكم ، قيلَ ارجعوا وراءَكم فالتمِسوا نوراً ، فضُرب بينهم بسُور له بابٌ ، باطِنُه فيه الرحمةُ وظاهِرُه من قِبَلِه العذابُ ، ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلَىٰ ولكنَّكم فتنتُم أنفسَكم وتربَّصتم وارتبتم ، وغرَّتكم الأمانيُّ حتى جاء أمرُ الله وغرَّكم بالله الغَرور ﴾ . [الحديد : ١٣]

فقد تحقق الاستهزاء بهم وتحققت السخرية منهم يوم القيامة جزاءً وفاقاً على استهزائهم وسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا .



معنى الاستواء هو العلُوُّ

التنبيه الرابع عشر : ذكر الصابوني في جـ ١ / ٤٦ عند قوله تعالى : ﴿ ثم استوَىٰ إلى السَّماءِ ﴾ قال : ثم وجه إرادته نحو السماء .

وفي جـ ٣ / ١١٧ : ﴿ ثم استوَىٰ إلى السماءِ ﴾ أي عمد إلى خلقها وقصد

١ - أقول : إن هذا التفسير لمعنى استوى ، فيه نظر ، فقد جاء في البخاري في كتاب التوحيد جـ ٨ / ١٧٥ :
قال أبو العالية : استوى إلى السماء : ارتفع .
وقال مجاهد : استوى : علا على العرش .

٢ - وقد فسرها ابن جرير الطبري بالعلو جـ ١ / ١٩٢ فقال : وأولى المعاني في قول الله عز وجل ﴿ ثم استوىٰ إلى السماءِ ﴾ (علا عليهن فدبَّرهن بقدرته) .

٣ - وقد ذكر الصابوني في مختصر ابن جرير الذي اختصره فقال في تفسير : ﴿ ثم استوَىٰ إلى السماءِ ﴾ أي علا على السماء وارتفع ، ثم ذكر الصابوني في التعليق على كلمة ارتفع جـ ١ / ١٨ ما نصه : (عُلوًّا يليق بجلاله ، وقد ذكر الطبري أقوالاً عديدة في الاستواء للمفسرين ، وردها لأنها خلاف المفهوم من كلام العرب ، ثم قال : الاستواء هنا بمعنى العلُو والارتفاع ، علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال)

(انظر الطبري ١/٤٣٠)

٤ - لقد خالف الصابوني البخاري عندما نقل عن مجاهد وأبي العالية معنى : استوى : علا وارتفع .
وخالف تفسير الإمام الطبرى الكبير ، حتى خالف مختصر ابن جرير الذي اختصره بنفسه ووضع اسمه عليه ، فقد فسر استوى : علا على السماء وارتفع . فكيف يجوز له أن يخالف البخاري والتابعين وأئمة التفسير؟

٥ - ذهب بعض المفسرين من الأشاعرة وغيرهم إلى تأويل (استوى) بمعنى (استولى) ، وهذا خطأ كبير نبه عليه العلماء بقولهم :
لقد أمر الله اليهود أن يقولوا (حِطَّة) فقالوا (حنطة) تحريفاً ، وأخبرنا الله أنه استوى على العرش فقال المتأولون : (استولى) فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها .
(ذكرها ابن القيم في قصيدته النونية ، ونقلها عنه محمد الأمين الشنقيطي في كتابه : « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٦ »)



الشيطان لا يتسلط على الأنبياء

التنبيه الخامس عشر : ذكر الصابوني عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** ﴾ أي وما أرسلنا قبلك يا محمداً[1] رسولاً ولا نبياً (**إلا إذا تمنى**) أي إلا إذا أحب شيئاً وهويته نفسه (**ألقى الشيطان في أمنيته**) أي ألقى الشيطان فيما يشتهيه ويتمناه بعض الوساوس التي توجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام :

« **إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة** » .
(جـ ٢ / ٢٩٤)

ثم قال في ص ٢٩٥ : قال أبو السعود : وفي الآية دلالة على جواز السهو على الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم .

أقول هذا التفسير من الصابوني ، وهذا الكلام من أبي السعود الذى أقره الصابوني عليه تنبيهات :

أولاً : إن الشيطان لا يمكن أن يلقي وساوسه للأنبياء كما يقول الصابوني وأبو السعود لقول الله تعالى :

١ - ﴿ **إنَّ عِبادى ليسَ لكَ عليهم سلطانٌ إلا مَنِ اتَّبعَك من الغاوينَ** ﴾ [الحجر : ٤٢]

---

(١) هكذا فى أصل التفسير للصابونى ، والصواب : يامحمدُ ، لأنه مفرد علَم .

وأي إنسان أحق بهذه العبودية من الأنبياء ، ولا سيما محمداً ﷺ .

٢ - ﴿ إنه ليس له سُلطانٌ على الذينَ آمنوا وعلى ربهم يتوكلونَ ﴾

[النحل : ٩٩]

وأي شخص أصدق إيماناً وأقوى توكلاً من رسول الله ﷺ ؟

٣ - ﴿ قال فبعِزَّتِك لأُغوينَّهم أجمعين إلا عبادَك منهم المخلَصين ﴾

[ص : ٨٢]

ومن أحق من الأنبياء بالاستثناء ، وهم المخلصون ، وعلى رأسهم محمد ﷺ ؟

ثانياً : إن الشيطان لا يمكن أن يلقي للرسول ﷺ بعض الوساوس كما يقول الصابوني للأدلة الآتية :

١ - قال ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة »

قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، ولكن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بالخير » (رواه مسلم)

فهذا نص صريح من رسول الله ﷺ الذي عصمه الله ، وأن قرينه من الجن لا يأمره بِشَرٍّ أبدا .

٢ - ودليل ثانٍ على أن الشيطان لا يوسوس للرسول ﷺ :

« عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب

فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه »
[رواه مسلم]

يفهم منه أن حظ الشيطان قد أخرجه جبريل من قلب الرسول ﷺ ، وقد غسله بماء زمزم فأصبح نظيفاً من وساوس الشيطان .

٣ - ودليل آخر على عدم تسلُّط العفريت على الرسول هو قوله ﷺ : **« إن عفريتاً من الجن تفلَّت عليَّ البارحة ، أو قال كلمة نحوها ليقطع عليَّ الصلاة فأمكنني الله منه[1] ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فتذكرت قول أخي سليمان : ﴿ ربِّ اغفر لي وهَبْ لي مُلكاً لا ينبغِي لأحدٍ مِن بعدِي ﴾** . فردَّه الله خاسئاً . (متفق عليه)

يفيد هذا الحديث أن الشيطان قد خنقه الرسول ﷺ فلم يَعُد له تسلُّط عليه أو وسوسة .

ثالثاً : إن الحديث الذي استشهد به الصابوني : **« إنه لَيُغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة »** لم يذكر تخريجه ، وأخطأ في نقله ، والصواب كما رواه مسلم ج ١١ / ص ٢٣ مع النووي : **« إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله مائة مرة »** ولم أجده بلفظ (سبعين مرة) حتى في أبي داود الذي رواه أيضاً رقم ١٥١٥ ج ٢ ولعله في البخاري .

---

(١) وفى رواية مسلم : وزعَتُّه (اى خنقته) .

١ - ليس معنى الحديث كما فهم الصابوني في إلقاء الشيطان بعض الوساوس التي توجب اشتغال الرسول ﷺ بالدنيا ، بل معناه كما قال عياض : المراد بالغَين فَتَران عن الذكر ، الذي شأنه أن يداوم عليه فإذا فتر عنه لأمرٍ ما ، عَدَّ ذلك ذنباً فاستغفر عنه ، وقيل : هو شيء يعتري القلب مما يقع فيه من حديث النفس ، وقيل : هو السكينة التي تغشى قلبه ، والاستغفار لإظهار العبودية لله لما أولاه . [شرح مسلم للنووي ج ٢٣/١٧]

٢ - ليس في الآية دليل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم كما قال أبو السعود وأقره الصابوني .

لكن ابن حجر العسقلاني ذكر في كتاب السهو باب ما جاء في السهو إذا قام من ركعتي الفريضة فقال في جـ / ٣ / ٩٣ من فتح الباري : (وأن السهو والنسيان جائزان على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما طريقه التشريع) .

أقول : وهذا أمر حدث فى الصلاة حينما سها الرسول ﷺ فى الصلاة في عدد الركعات ليشرع الله للأمة على فعل نبيه أحكام السهو في الصلاة .

رابعاً : إن تفسير الصابوني – هداه الله – للآية غير صحيح ، لأنه يمس عصمة الأنبياء ويجيز عليهم بعض الوساوس التى يلقيها الشيطان فيما يتمنى الرسول ويشتهيه ، والتي توجب اشتغاله بالدنيا كما زعم ، وقد تقدم بطلان هذا من الكتاب والسنة .

خامساً : إن الصابوني وقع في التناقض وذلك عندما نقل عن النحاس قوله : (ومعنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولاً ولا نبياً فحدَّث نفسه بشيء وتمنى لأمتِه الهداية والإيمان إلا ألقى الشيطان الوساوس والعقبات فى طريقه بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفة لأمر الرسول ﷺ ، وكأن الآية تسلية للرسول ﷺ تقول له : لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين ؛ ثم قال الصابوني في الحاشية : هذا أصح ما قيل في تفسير الآية ، وهو اختيار المحققين من المفسرين (ولم يذكر المرجع الذي نقل عنه) :

١ - إن هذا التفسير لا يُقِر إلقاء الشيطان وساوسه على الأنبياء كما ذكر الصابوني في تفسيره الأول للآية ، بل يجعل الوساوس منصبة على الكفار بتزيين الكفر لهم ، وإلقائه في نفوسهم مخالفة أوامرِ الرسول ﷺ كما هو واضح .

٢ - إن قول الصابوني في الحاشية : (هذا أصح ما قيل في تفسير الآية) يعني أن تفسيره للآية صحيح في الأول ، ولكن تفسير النحاس أصح منه ، بينما تفسير الصابوني للآية أولاً غير صحيح ، وتفسير النحاس هو الصحيح .

٣ - إن استشهاد الصابونى بقول المفسر أبي السعود الذي يقول : وفي الآية دليل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم ، دليل على تصحيح قوله الذي يجيز إلقاء الشيطان بعض وساوسه على الأنبياء .

التفسير الصحيح للآية

إن أحسن ما قيل في تفسيرها هو ما اختصره الدكتور أبو شهبة في كتابه : (الموضوعات والإسرائيليات في التفسير) حيث قال في تفسير الآية :

وللإجابة عن ذلك أذكر خلاصة ما ذكره الأستاذ الإمام (محمد عبده) في تفسيرها .

وفي تفسيرها وجهان :

الأول : أن التمني بمعنى القراءة إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون ، بل بمعنى إلقاء الأباطيل والشبه مما يحتمله الكلام ، ولا يكون مراداً للمتكلم ، أو لا يحتمله ، ولكن يدعى أن ذلك يؤدي إليه ، وذلك من عمل المعاجزين ، الذين دأبهم محاربة الحق ، يتبعون الشبهة[1] ، ويسعون وراء الريبة ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ

---

(١) هذه الشبهة وردت في سورة الأنعام ذكرها ابن كثير في تفسيره ٢ / ١٧١ فقال عن ابن عباس في قوله : ﴿ وإن الشياطين ليُوحون إلى أوليائهم ﴾ يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح . (ذبح الله : أمات الله) .

وقال السدي في تفسير هذه الآية : إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضات الله ، فما قتل الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم تأكلونه ؟ فقال الله تعالى : ﴿ وإن أطعتموهم ﴾ في أكل الميتة ﴿ إنكم لمشركون ﴾ وهكذا قال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف .

وقوله تعالى:﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [التوبة : ٣٤]

لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث قومه عن ربه ، أو تلا وَحياً أنزل الله فيه هداية لهم ، قام في وجهه مشاغبون يتقولون عليه ما لم يقله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، وينشرون ذلك بين الناس : ولا يزال الأنبياء يجادلونهم ويجاهدون في سبيل الحق ، حتى ينتصر ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان من شبه ، ويثبت الحق ، وقد وضع الله هذه السنة في الخلق ليتميز الخبيث من الطيب ، فيفتَتِن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض ، ثم يتمحص الحق عند أهله ، وهم الذين أوتوا العلم ، فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وتخبت له قلوبهم .

ثانياً : إن التمني : المراد به : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما كان ويكون ، والأمنية من هذا المعنى : وما أرسل الله من رسول ، ولا نبي ليدعو قومه إلى هدى جديد ، أو شرع سابق إلا وغاية مقصوده ، وجل أمانيه ، أن يؤمن قومه ، وكان نبينا من ذلك في المقام الأعلى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ويكون المعنى : وما أرسلنا من رسول ولا نبي ، إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ألقى الشيطان في سبيله العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس ، فثاروا في وجهه ، وجادلوه بالسلاح حيناً وبالقول حيناً آخر ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها ، ونالوا منه وهو قليل الأتباع ، ظنوا أن الحق في جانبهم ، وقد يستدرجهم الله جرياً على سنته ، يجعل الحرب بينهم وبين المؤمنين

سجالا ، فينخدع بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق ، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات ، ويُنشئ من ضعف أنصار الحق قوة . ومن ذلهم عزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لَهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . هذا هو الحق : وما عدا ذلك فهو باطل .



تفسير رائع للعلامة الشنقيطي

لقد فسر العلامة محمد الأمين الشنقيطي الآية تفسيراً رائعاً فقد ذكر في تفسيره : (أضواء البيان) جـ ٥ / ٧٣٢ / ما نصه :

ونحن وإن ذكرنا أن قوله : ﴿ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾ يستأنس به لقول من قال : إن مفعول الإلقاء المحذوف تقديره : ألقى الشيطان في قراءته ما ليس منها ، لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوي ، ومعناه الإبطال والإزالة من قولهم : نسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الأثر ، وهذا كأنه يدل على أن الله ينسخ شيئاً ألقاه الشيطان ، ليس مما يقرؤه الرسول أو النبي ، فالذي يظهر لنا أنه الصواب وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة ، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين : هـو أن ما يُلقيه الشيطان في قراءة النبي الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها ، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر ، أو أساطير الأولين ، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده .

والدليل على هذا المعنى : أن الله بيَّـن أن الحكمة في الإلقاء المذكور امتحان الخلق ، لأنه قال : ﴿ ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ ثم قال : ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخبت له قلوبهم ﴾ فقوله : ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق ﴾ الآية . يدل على أن الشيطان يلقى عليهم ، أن

الذي يقرأه النبي ليس بحق فيصدقه الأشقياء ، ويكون ذلك فتنة لهم ، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم ، ويعلمون أنه الحق لا الكذب كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه . فهذا الامتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة ، والعلم عند الله تعالى .

وعلى هذا القول ، فمعنى نَسخُ ما يلقي الشيطان : إزالته وإبطاله ، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم .

ومعنى يُحكِم آياته : يُتقنها بالإحكام ، فيُظهر أنها وحي منزل منه بحق ، ولا يؤثِّر في ذلك محاولة الشيطان صدَّ الناس عنها. بإلقائه المذكور ، وما ذكره هنا من أنه يُسلِّط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي ، فتنة للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم .

بذلك الامتحان ، جاء موضحاً في آيات كثيرة قدمناها مراراً كقوله : ﴿ وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكةً وما جعلنا عِدَّتهم إلا فتنةً للذينَ كفروا ليستَيقن الذينَ أُوتوا الكتابَ ويزدادَ الذينَ آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أُوتوا الكتابَ والمؤمنونَ ، ولِيقولَ الذينَ في قلوبِهم مرضٌ والكافرونَ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، كذلك يُضلُّ الله مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاءُ ﴾ [المدثر : ٣١]

وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يَتَّبعِ الرَّسولَ مِمَّن ينقلبُ على عقِبَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقوله : ﴿ وما جعلنا الرؤيَا التي أريناكَ إلا فِتنةً للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآن ﴾ أي لأنها فتنة ، كما قال : ﴿ أذلكَ خيرٌ نُزلاً أم شجرةُ الزقُّومِ إنا جعلناها فتنةً للظالمينَ إنها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيمِ ﴾ الآية . [الصافات ٦٢، ٦٣، ٦٤]

لأنه لما نزلت هذه الآية قالوا : ظهر كذب محمد ﷺ لأن الشجر لا ينبت في الموضع اليابس، فكيف تنبت شجرة في أصل الجحيم إلى غير ذلك من الآيات ، كما تقدم إيضاحه مراراً ، والعلم عند الله تعالى .

واللام في قوله : ﴿ ليجعل ما يُلقي الشيطانُ ﴾ الآية .

الأظهر أنها متعلقة بألقى أي ألقى الشيطان في أُمنيَّة الرسل والأنبياء ، ليجعل الله ذلك الإلقاء فتنة للذين في قلوبهم مرض ، خلافاً للحوفي القائل : إنها متعلقة بـ (يُحكم) ، وابن عطية القائل : إنها معلقة بـ (ينسخ) .

ومعنى كونه : فتنة لهم أنه سبب لتماديهم في الضلال والكفر .

وقوله : ﴿ ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ ﴾ أي كفر وشك . (انتهى . .) .

* * *

قصة ثعلبة غير صحيحة

التنبيه السادس عشر : ذكر الصابوني في تفسير (صفوة التفاسير) جـ١ / ٥٥١ وقال في الحاشية : (أسباب نزول ص١٤٥ وهذا الذي ذكره المفسرون غير ثعلبة بن أبي حاطب الصحابي المشهور وإنما هذا رجل من المنافقين يسمى ثعلبة)[١] .

١ - هكذا يجزم الصابوني بأن القصة صحيحة ضارباً بأقوال أهل العلم الذين بَيَّنوا علتها ونكارتها أو جاهلاً بأقوال هؤلاء العلماء الأفاضل .

٢ - ومما زاد الأمر سوءاً أن الصابوني يزعم أن الصحابي المشهور هو ثعلبة بن أبي حاطب بينما ثعلبة بن حاطب من المنافقين دون بَيِّنَة ودليل .

إن الأمر على خلاف ما زعم الصابوني فإن الصحابي المشهور المفترى عليه في هذه القصة هو ثعلبة بن حاطب الأنصاري البدري بينما ثعلبة بن أبي حاطب شخصية وهمية حاول بعض المصنفين في طبقات الصحابة إثباتها لينسبوا القصة إليها كما فعل ابن حجر رحمه الله وقد بَيَّنا ذلك مفصلاً فيما تقدم .

إن ابن حجر عندما أثبت اسم ثعلبة بن أبي حاطب في (الإصابة)

---

(١) لم يذكر الصابوني ابن مَن ؟! . . . . ، والمعروف عند العلماء هو ثعلبة بن حاطب .

نسب القصة إليه ولم ينسبها إلى ثعلبة بن حاطب الذي برأه منها وهذا عكس ما صنع الصابوني ، ألا فليتق الله ربه .

وقد كتب شيخنا الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) (٤٠٨١) فقال : هذا الحديث من الأحاديث التي ساقها ابن كثير في (تفسيره) ساكتاً عليه ، لأنه ذكره بسند معان بن رفاعة . . مشيراً بذلك إلى علته الواضحة لدى أهل العلم بهذا الفن ، فاغتر بسكوته مختصر (تفسيره) الشيخ الصابوني فأورده في (مختصره) (٢ / ١٥٧ ، ١٥٨) ، الذى نص في مقدمته أنه اقتصر على الأحاديث الصحيحة ، وحذف الأحاديث الضعيفة . . . كما كنت بينته في مقدمة المجلد الرابع من (سلسلة الأحاديث الصحيحة) داعماً ذلك ببعض الأمثلة ذكرتها مشيراً إلى كثرة الضعيفة فيه جداً ، وبين أيدينا الآن هذا المثال الجديد ، وقد زاد في الانحراف عن جادة العلماء بتصديره إياه بقوله : (وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير عن أبي أمامة) فأوهم قراء كتابه أنه حديث صحيح بجزمه به كما هو مقرر عند العلماء ، زيادة على ما ذكره في المقدمة مما أشرت إليه آنفاً ، ثم زاد - ضغثاً على إبالة - أن نقل تخريج ابن كثير للحديث من (تفسيره) في حاشية (مختصره) موهماً قراءه أيضاً أنه من تخريجه هو ، متشبعاً بما لم يعط ، عامله الله بما يستحق .

(اهـ مختصراً نقلاً من كتاب الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه تأليف سليم الهلالي) .

الله معنا بعلمه حقيقة

التنبيه السابع عشر : ذكر في الصفوة عند قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ أي هو جل وعلا حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته .

ثم ذكر فى التعليق : قال فى البحر : أجمعت الأمة على تأويل هذه الآية ، وأنها لاتحمل على ظاهرها من المعية بالذات ، ثم قال : (وهو معكم) أى بالعلم والقدرة اهـ .

وقال القرطبي : (وهو معكم) أي بقدرته وسلطانه وعلمه .

وقال البيضاوي : أي لاينفك علمه وقدرته عنكم .

وقال الألوسي : والآية تمثيل لإحاطة علم الله بهم ، وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا . اهـ .

يقول (الصابوني) : وهذه الأقوال من السلف والخلف تَرُدُّ على مَن منع من التأويل[1] فى كتاب الله مطلقاً إذ كيف يمكن أن نفهم قوله تعالى عن سفينة نوح : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ ، وقوله لموسى : ﴿ ولتصنع على عيني) وقوله ﴿ ونحن أقربُ إليه مِن حبلِ الوريدِ ﴾ وقوله عليه السلام : «الحجر الأسود يمين الله فى الأرض» . [جـ ٣ / ٣٢١] .

أقول هذا التعليق من الصابوني عليه تعليقات :

١ ـ إن الذى نقلت عنه في البحر من إجماع الأمة على تأويل هذه

---

(١) التأويل : المراد هنا صرف المعنى الظاهر إلى معنى آخر .

الآية غير صحيح كما سيأتي ، وقولك : وهذه الأقوال من السلف والخلف تَرُدُّ على من منع التأويل أيضاً غير صحيح ، فمَن هم السلف الذين نقلت عنهم جواز التأويل ؟ لم تذكر واحداً منهم ، والخلف الذين نقلت عنهم لم يقولوا بالتأويل صراحة ، بل فسروا الآية فقط . إن السلف منعوا التأويل ، والدليل على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى (جـ٥/١٠٠) :

وكذلك قال (أبو المعالى الجوينى) فى كتابه : (الرسالة النظامية) . اختلف مسالك العلماء فى هذه الظواهر : فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك فى آي الكتاب ومايصح من السُّنن .

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها[1] إلى الرب . فقال : والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة ، والدليل السمعى فى ذلك إجماع الأمة ، وهو حجة مُتبعة ، وهو مُستند معظم الشريعة .

وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك مافيها ، وهم صفوة الإسلام ، والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهداً فى ضبط قواعد المِلَّة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس مايحتاجون إليه منها ـ فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة .

(١) السلف يفوضون الكيفية في صفات الله بخلاف المعاني فهي معروفة كما قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف غير معقول والإيمان به واجب)

وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبَع .

فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ، ولايخوض في تأويل المشكلات ، ويَكلُ معناها إلى الرب تعالى : فليَجْرِ آية الاستواء والمجيء ، وقوله : ﴿ لِما خلقتُ بيدَي ﴾ ﴿ ويبقى وجهُ ربِّكَ ذُو الجلالِ والإكرامِ ﴾ وقوله : ﴿ تجرى بأعيُنِنا ﴾ وما صح من أخبار كخبر النزول وغيره على ماذكرناه .

ثم قال ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (جـ ٥ / ١٠٢) :

ولايحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة .

مثل أن يقول القائل : ما فى الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله ﴿ وهو معكم ﴾ . . . .

وذلك أن الله معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى خلقَ السماواتِ والأرضَ فى ستَّةِ أيامٍ ، ثم استوى على العرش ، يعلمُ مايَلج فى الأرضِ ومايخرجُ منها ، ومايَنزِل من السماء ، ومايَعرُج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد : ٤] .

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء ، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي ﷺ فى حديث الأوعال : «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه» ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : ﴿ يعلم مايَلِجُ فى الأرضِ ، وما يَخرجُ منها ﴾ إلى قوله : ﴿ وهو

معكم أينما كنتم ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعيَّة ومقتضاها أنه مُطلع عليكم شهيد عليكم ومُهيمن ، عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف :
إنه معهم بعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .

وكذلك في قوله : ﴿ ما يكونُ من نجوَىٰ ثلاثةٍ إلا هُوَ رابعُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ هوَ معهمْ أينمَا كانُوا ﴾[1] [المجادلة : ٧].

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار : ﴿ لاتحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] .
كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد .

فلفظ المعية قد استعمل الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لايقتضيها في الموضع الآخر : فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ـ وإن امتاز كل موضع بخاصيته ـ فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صُرفت عن ظاهرها .
(انتهى كلام شيخ الإسلام من الفتاوى ص ١٠٤)

٢ ـ ذكر الدكتور صالح الفوزان في ملاحظاته على كتاب صفوة التفاسير مايلي : زعم أن تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ بالعلم

---

(١)قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم (فهو معنا بعلمه)
[انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ / ٣٢٢]

من باب التأويل ، ثم أطلق لسانه وقلمه على الذين يمنعون التأويل ، وهو نفس المقالات التى نشرها في مجلة المجتمع ، ورددنا عليه بما يبطلها ، ورد عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله بما يدحضها ـ والحمد لله رب العالمين .

٣ ـ أما قول الصابوني : كيف يمكن أن نفهم قوله تعالى عن سفينة نوح : ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ وقوله لموسى : ﴿ **ولِتُصنع على عيني** ﴾ وقوله ﴿ **ونحن أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ** ﴾ فنفهمها كما فهمها السلف ، وفسرها الطبري فيما نقلته عنه فى المختصر : ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ تجرى هذه السفينة بمرأى منا ومنظر ﴿ **ولِتُصنع على عيني** ﴾ ولِتُربىً على مَرأى مني ومحبة . (جـ ٢ / ٣٢ ـ ٤٠٦) وأما قوله تعالى : ﴿ **ونحن أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ** ﴾ فقال ابن كثير : يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، ومَن تأوله على العلم فإنما فرَّ لئلا يلزم حلول أو اتحاد ، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس . «انظر تفسير ابن كثير»

﴿**ونحنُ أقرَبُ إليه من حبل الوريد**﴾

قال ابن جرير الطبري : فقال بعضهم : معناه :
نحن أملك به ، وأقرب إليه في المقدرة عليه .
وقال آخرون : بل معنى ذلك :
﴿**ونحنُ أقرَبُ إليه من حبل الوريد**﴾ بالعلم بما توسوس به نفسه .[ج١٣/ ١٥٧]

٤ ـ وأما الحديث الذى ذكره الصابوني : « **الحجر يمين الله في**

الأرض» فقد رمز له السيوطى بالضعف ، وقال المناوي في فيض القدير (جـ ٣ / ٤٠٩) : قال ابن الجوزى : حديث لايصح ، فيه إسحاق بن بشير كذَّبه ابن أبى شيبة وغيره ، وقال الدارقطني : هو في عداد من يَضع ، وقال ابن العربى : هذا حديث باطل لايُلتفت إليه .



هل يقال آدم خليفة الله ؟

التنبيه الثامن عشر : ذكر الصابوني (جـ ١ / ٤٨) عند قول الله تعالى :

﴿ إنى جاعلٌ فى الأرض خليفةً ﴾ أي خالق فى الأرض ، ومُتخذ فيهم خليفة يخلفني فى تنفيذ أحكامى فيها وهو آدم ، أو قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيلا بعد جيل .

أقول : إن هذا التفسير عليه تعليقات :

١ ـ لم يذكر الصابوني المصدر الذي نقل عنه هذين التفسيرين ، علماً بأن القول الثاني هو قول ابن كثير فى تفسيره (جـ ١ / ٦٩) : أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل .

لكن الصابوني لم يُؤد للأمانة العلمية حقها ، ولم يَعزُ التفسير لابن كثير .

٢ ـ لم يرجح التفسيرين المذكورين ، واعتبرهما متساويين ، مع أن التفسير الأول (أي خالق فى الأرض ، ومتخذ فيهم خليفة يخلفني في تنفيذ أحكامى وهو آدم) غير صحيح ، والصحيح هو القول الثاني الذي حكاه ابن كثير ،وقال بعده مباشرة : والظاهر أنه لم يُرِد آدم عيناً ، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفِكُ الدِّماء ﴾ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك . .

٣ ـ ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطى فى كتابه : (أضواء

البيان جـ ١ / ٤٨) عند قول الله تعالى : ﴿ وإذ قال ربُّك للملائكةِ إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً ﴾ الآية وقوله (خليفة) وجهان من التفسير للعلماء :

أحدهما : أن المراد بالخليفة آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، لأنه خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره .

الثاني : أن قوله خليفة أريد به الجمع أي خلائف ، وهو اختيار ابن كثير .

وإذا كانت هذه الآية الكريمة تحتمل الوجهين المذكورين ، فاعلم أنه قد دلت آيات أُخر على الوجه الثاني ، وهو أن المراد بالخليفة : الخلائف من آدم وبنيه ، لا آدم نفسه وحده ، كقوله تعالى : ﴿ قالوا أتجعل فيها مَن يُفسدُ فيها ـ ويَسفِكُ الدِّماءَ ﴾ الآية ، ومعلومٌ أن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس ممن يُفسد فيها ، ولا مِمن يسفك الدماء .

وكقوله : ﴿ هو الذي جعلكم خلائفَ في الأرضِ ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ ويجعلكم خُلفاءَ ﴾ الآية ، ونحو ذلك من الآيات .

ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة آدم ، وأن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد ، وسفك الدماء ، فقالوا ماقالوا : وأن المراد بخلافة آدم الخلافة الشرعية ، وبخلافة ذريته أعم من ذلك ، وهو أنهم يذهب منهم قرناً بعد قرن ، ويخلفه قرن آخر .

٤ ـ إنه لايجوز شرعاً أن يقال : الإنسان خليفة الله ، لما فيه من إيهام ما لايليق بالله تعالى من النقص والعجز ، إذ لو كان الله سبحانه وتعالى محتاجاً لخليفة يقوم عنه بأمره ، لكان مفتقراً إلى خلقه ، وحاشا لله أن يكون كذلك ، وهو الغنى عن عباده .

وقيام الإنسان بأمر الله سبحانه ، وإنفاذ شريعته وأحكامه فى الأرض هو طاعة واستجابة لأمره سبحانه بها فى قوله : ﴿ أطيعوا الله ﴾ (الأنفال). والطاعة ليست استخلافاً عن الله تعالى ، بل هى تنفيذ أمره ، واجتناب نهيه[1] وقد جاء الأمر بالحكم في قول الله تعالى :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزلَ الله ﴾ [المائدة : ٤٩]

﴿ ياداود إنا جعلناك خليفةً فى الأرض فاحكمْ بينَ الناس بالحقِّ . . ﴾ [ص ٢٦]

٥ ـ لم يُعهد عن أحد من السلف من القرون الثلاثة الأولى أنه كان يقول : الإنسان خليفة الله في أرضه ، وإنما هو من قول بعض المتأخرين كابن عربي الصوفي القائل : بأن الله حل في مخلوقاته ، تعالى الله عن ذلك وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في مجموع الفتاوى ، (جـ ٣٥ / ٤٤ ـ ٤٥) : (وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربى ، أن الخليفة هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ، والله تعالى لايجوز له خليفة ، ولهذا «قالوا لأبِي بكر : ياخليفة

---

(١) من كتاب (تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإنسان بتصرف) للشيخ محمد إبراهيم أبو شقره .

الله ! فقال لست بخليفة الله ، ولكن خليفة رسول الله ﷺ ، حسبى ذلك» ، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، قال النبي ﷺ : «اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل[1] ، اللهم اصحبنا في سفرنا وأخلفنا في أهلنا» . وذلك لأن الله حَي شهيد مُهيمِن قَيُّوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ، ليس له شريك ولا ظهير ، ولايشفع أحد عنده إلا بإذنه . والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت[2] أو غَيبة[3] ، ويكون لحاجة المستخلف ، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه ، وكل هذه المعاني مُنتفية في حق الله تعالى ، وهو مُنزَّه عنها ، فإنه حَي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب . . . ولايجوز أن يكون أحد خلفاً منه ، ولايقوم مقامه ، إنه لا سَمِيٌ له ولا كُفء، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به) .



---

(١) رواه مسلم .

(٢) كأبي بكر الصديق الذى خلَفه على أمته بعد موته .

(٣) كما كان النبى ﷺ يستخلف تارة ابن أم مكتوم ، وتارة غيره ، كما استخلف علي بن أبي طالب فى غزوه تبوك على المدينة ، وذلك عند سفره لحج أو عمرة ، أو غزوة .

تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير

١ ـ ذكر الطبري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خليفة ﴾ فقال فى (جـ ١ / ٤٤٩ تحقيق محمود شاكر) والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلاناً في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده كما قال جل ثناؤه : ﴿ ثم جعلناكم خَلائف في الأرضِ من بعدِهِمْ لِننظُرَ كيفَ تعملونَ ﴾ [يونس : ١٤]

يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم ، فجعلكم خُلفاء بعدهم من ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خَلَفاً ؛ ثم أتى بأقوال لاتقوم بها حجة لوجود وهن فى إسنادها كما قال محمود شاكر ولكن الصابوني ترك قوله الأول الذى اعتمده ، وأخذ الصابوني الضعيف الذى لم يعتمده الطبري ، وذكره في مختصر ابن جرير الطبري ، فكان هذا مخالفة صريحة لأصل التفسير ، ولعل ماذكره فى (صفوة التفاسير) مأخوذ منه ، مع اختلاف اللفظ ، واتحاد المعنى

(انظر مختصر ابن جرير الطبري جـ ١ / ١٨)

٢ ـ ذكر القرطبي عند تفسير قول الله تعالى ﴿ خليفة ﴾ جـ ١ / ٢٦٣ فقال :

وخليفة بمعنى فاعل ، أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض أومن كان قبله من غير الملائكة على ماروي .

ويجوز أن يكون خليفة بمعنى مفعول أى مخلَف ، كما يقال : ذبيحة بمعنى مفعولة (أي مذبوحة)[1] .

وما نقله القرطبي بعد ذلك من أقوال لاتقوم بها حجة ، ولاتثبت عند المحدثين كما قال محمود شاكر فى تعليقه على كلام الطبري .

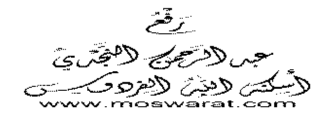
٣ ـ قال ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ إنِّى جاعلٌ فى الأرض خليفةً ﴾ .

أى قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، كما قال تعالى : ﴿ هو الذى جعلكم خلائفَ الأرضِ ﴾ .

ثم ذكر أقوالاً من المفسرين لم يعتمدها ولم تثبت .



(١) ويجوز أن يكون بمعنى المخلوف اى يخلفه غيره (ذكره صديق حسن خان فى تفسيره)



ملاحظات على كتاب (صفوة التفاسير)

للدكتور سعد ظلام

حقيقة الهمّ في قصة يوسف

والكتاب الذي بين أيدينا هو : « صفوة التفاسير » وهو تفسير للقرآن الكريم كما جاء على غلافه ، « جامع بين المأثور والمعقول » مستمد من أوثق كتب التفسير ، كالطبري والكشاف والقرطبي والألوسي وابن كثير والبحر المحيط وغيرها بأسلوب ميسر وتنظيم حديث .

المنهج : وهذا اللون من التأليف سواء أكان اختصاراً لكتب مؤلفه مثل : « مختصر تفسير ابن كثير » أو تهذيباً مثل تهذيب الأغاني أو تجريداً أو مأخوذا مقتبساً من كتب أخرى كالكتاب الذي معنا .

هذا اللون من التأليف كما أن له حسناته في تقديم المعرفة وتيسيرها للقراء ، في أسلوب رشيق وإخراج جيد وسعر زهيد يتفق مع ميزانيات أغلب القراء ، إلا أن له مخاطره ومزالقه .

مخاطر هذا المنهج :

فمنهج ابن كثير مثلا في التفسير أنه يعتمد على منهج تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة وقد استخدم الحافظ عماد الدين أبو الفداء

إسماعيل بن كثير موهبته وذاكرته الحافظة للحديث في هذا التفسير استخداماً أمثل . فروى وأسند ووثق وفسر ، كل هذا في ثقة الحافظ ووعي المفسر ، فكان منهجه منهجاً موضوعياً ملتزماً . ومنهج صاحب الكشاف منهج اعتزالي بياني يعتمد على اللغة والبيان ويؤكد مذهب الاعتزال في جرأة عقلية .

فإذا جاء البعض يُريد اختصار هذا التفسير أو ذلك كما فعل المؤلف الشيخ الصابوني في تفسير ابن كثير حين اختصره ، وكما فعل غيره في اختصار « إحياء علوم الدين » للغزالي فقد تعدى وهدم المنهج ، وحرم القارئ من متعة توثيق النص والاطمئنان إلى السند والإسناد درجته .

وكذلك فعل الشيخ الصابوني في « صفوة التفاسير » فهو كما قال : اقتبسه من كتب أخرى في التفسير وكل تفسير له منهجه الخاص ، فهناك منهج سني ملتزم عند ابن كثير ومنهج اعتزالي بياني عند الزمخشري ومنهج تاريخي عند الطبري وهناك منهج المتكلمين .

وبذلك يكون بعمله هذا قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فجمع بين عدة مناهج كثيرة ، أو هكذا تصور فقدم لنا عملاً غير محدد المعالم ، وغير ملتزم وغير مضبوط .

والذى أود أن أنبِّه إليه هو أن المؤلف في زحمة هذا الخلط الهائل من كتب التفسير ، والمناهج المختلفة ضاع وتشتت ، وغاب أو كاد ، ولا نجد له رأياً في زحمة الآراء ، ولا نحس بوجوده في اختلاط الأقوال ، واضطراب المناهج .

حقيقة الهمّ

وهذا نموذج آخر من نماذج هذا الخلط في قضية من القضايا القديمة الجديدة .

ويتمثل هذا في تفسير سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ وراوَدْتْه التي هُو في بيتِها عن نفسِه وغلَّقتِ الأبوابَ وقالت هَيتَ لك قال معاذ الله إنه ربِّي أحسنَ مثوايَ إنه لا يُفلحُ الظالمونَ . ولقد هَمّت به وَهَمّ بها لولا أن رأى بُرهان ربِّه ﴾[يوسف : ٢٣، ٢٤] .

ففسر ما كان من امرأة العزيز ، وذكر أنها حاولت إيقاعه في شراكها . وتوسلت إليه بكل وسائل الإغراء ، ولولا أن الله جل وعلا حفظه من كيدها لهلك . وبين أن الهمّ نوعان : هَمُّ فعل ، وهمٌّ ترك . وأن الهمَّ قد يأتي بمعنى الخاطر وحديث النفس دون عزم وأن الهمَّ من امرأة العزيز كان همَّ عزم وتصميم والهمَّ من يوسف كان مجرد حديث نفس[1] .

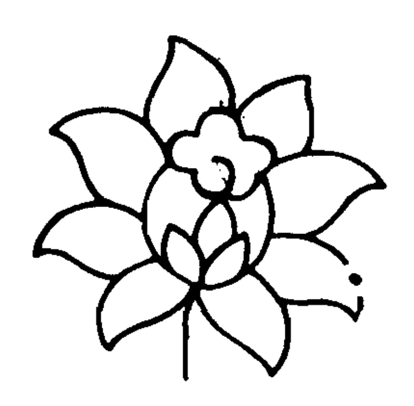
وذكر المؤلف أن جواب « لولا » محذوف أي لولا أن رأى برهان ربه لوقع في المحظور ، أو لولا حفظ الله ورعايته ليوسف وعصمته له لوقع في المحظور ، ولكن الله عصمه فلم يحصل منه شيء ألبتة .

---

(١) أقول : الهم من يوسف لم يقع ولو كان مجرد حديث النفس لقوله تعالى : ﴿ وهمَّ بها لولا أن رأى بُرهان ربه ﴾ فالآية تفيد أن الهمَّ لم يقع لرؤية البرهان .

ثم نقل عن البحر المحيط لأبي حيان قوله : نسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لأحد الفساق . والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هَمٌّ ألبتة بل هو منفي لوجود البرهان .

وهذا كله كلام طيب للغاية[1] فيه حرص على جلال النبوة ونزاهتها وبُعدها عن مواقع الريبة والظنة والتهمة .



---

(١) الكلام السابق الذى ذكره الصابوني منه طيب وفيه غير طيب .
أ - الكلام غير الطيب : حين قال : إن الهم من يوسف كان مجرد حديث النفس لأن الهم لم يقع من يوسف ولو مجرد حديث النفس كما ذكر ذلك بعد .
ب - كلام طيب : حينما نقل عن البحر من أن الهم لم يقع من يوسف ، بل هو منفي لوجود البرهان .

محاذير وأخطاء

ولكن المؤلف بعد هذا الحرص وقع في جملة من المحاذير والأخطاء من بين أسبابها الجمع بين عدة مناهج في التفسير وعدم إدراكه الإدراك الكامل تصريف هذا الحشد الهائل من آراء المفسرين ومناقشتها ونبذ ما ليس فيه حرص على جلال النبوة ونزاهة يوسف عليه السلام .

وظهر هذا بعد قليل من تفسيره هذه الآيات ، عند قوله تعالى :

﴿ قال ما خَطْبُكُنَّ إذ راودتُّنَّ يوسُف عن نفسهِ قُلْنَ حَاشَ لله ماعلمنا عليه من سوءٍ قالت امرأت العزيزِ الآن حصحصَ الحقُّ أنا راودتُّه عن نفسهِ وإنه لـمِن الصادقينَ . ذلك ليعلم أني لم أَخُنْهُ بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين . وما أُبرِّئُ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾ [يوسف ٥١ - ٥٣] .

فقد ذكر أن النسوة اعترفن ببراءة يوسف كما اعترفت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق ظهر الحق وانكشف وبان . أنا التي أغريته ودعوته إلى نفسي وهو بريء من الخيانة صادق في قوله :

﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ .

وقال المؤلف : وهذا اعتراف صريح ببراءة يوسف على رؤوس الأشهاد .

ولكن المؤلف قال بعد هذا مباشرة عند قوله ذلك : ﴿ ليعلم أني لم

أَخُنْهُ بالغيب ﴾ الآية ، قال : الأظهر أن هذا من كلام يوسف لما وصله براءة النسوة له والمعنى ذلك الأمر الذي فعلته من رد الرسول حتى تظهر براءتي ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها .

ثم استطرد المؤلف فذكر أن قوله تعالى : ﴿ وما أُبرِّئُ نفسي إن النفسَ لأمارةٌ بالسُّوءِ . . ﴾ ذكر ما يفيد أنها في سياق قول يوسف ، فقال على لسانه : أي لا أزكي نفسي ولا أُنزهها ، فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات ثم نقل عن الزمخشري قوله : « أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها معجبا ومفتخرا » .

وهذا كلام يتهم يوسف فقد جعل يوسف يعترف بالتهمة حين ذكر أن هذا اعتراف من يوسف بعد اعتراف امرأة العزيز .

وهذا إلى جانب الاضطراب البادي في الفهم . والتكلف الملحوظ في التأويل يوقع يوسف في مجال الريبة والاتهام ، والاعتراف سيد الأدلة .

وبذلك يهدم المؤلف ما كان قد حشد نفسه له وأجهد فكره وكد خاطره في أول القصة لإثباته .

وكان الأولى به أن يفرز الآراء ، ويعرف ما معه وما ليس معه ، وما اختاره فيؤيده ويحبذه وما ليس معه فيحتاج إلى مناقشة ونقض وكان عليه أن يناقش الزمخشري المفسر المعتزلي في رأيه وأن لا يسلم نفسه إلى تياره في استسلام ضعيف .

وذلك كله من أثر الاضطراب فى الجمع بين مناهج مختلفة فى التفسير وكان موقفه من تلك المناهج والآراء موقف الجمع فقط دون مناقشة اوحرص ووعي .

على أن القضية أثيرت وشبعت إثارة،والأسلوب الذي جاءت عليه واضح لايحتاج إلى هذا الاضطراب ، فقد جاءت الآيات كلها على أسلوب المتكلم ﴿أنا راودته عَنْ نفسه﴾ ، ﴿وما أبرئُ نفسي إن النفسَ لأمارةٌ بالسوءِ﴾ ، والاعتراف الأول جاء على لسان امرأة العزيز ، وسياق الكلام والمنطق وأساليب البيان واللغة تقتضى أن يكون الكلام نسقاً واحداً ، فيكون كله من مقولة امرأة العزيز .

وهذه المراعاة الذوقية والأسلوبية والمنطقية واللغوية هي التى تخدم قضية المؤلف التي أجهد نفسه من أجلها وهي التى تحتم نزاهة يوسف وبراءته .

وهو ماتريد الآيات أن تسجله وتحكيه وتزف فيه اعتراف امرأة العزيز وبراءة يوسف لا أن نورط يوسف عليه السلام بغفلتنا وجمعنا عاطلاً بباطل ، وحشدنا مناهج مختلفة فى واحد حشداً عشوائياً دون ضابط أو نظام ، وعدم وعي لمناهج المفسرين التى أخذ منها .

[نقلاً من مجلة منار الإسلام فى العدد الرابع السنة العاشرة]

ردود سريعة ومختصرة

هذه بعض الردود لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين أحد أعضاء اللجنة المكلفة بمراجعة كتاب : (صفوة التفاسير) .

جـ ١ / ٢٠ : في المقدمة بالغ في وصف كتابه هذا فمدحه بوضوح الأسلوب ونصوع البيان والسلامة من الحشو والتعقيد والتطويل والتكلف وأفاد أن العلماء قبله وسائر من فسر القرآن فاتهم ذلك وأنه لم يسبق إليه . وهذا يخالف عنوان الكتاب الذي يدل على أنه أخذ من التفاسير خلاصتها ثم فيه تزكية النفس والتمدح بما لا يستحق به ذلك كله ،وفيه غمط لمن قبله ونسيان لفضلهم :

١ ـ يلاحظ عليه عدم اعتنائه بالسنة النبوية رغم توفر المراجع وفهرستها وسهولة استخراج الأحاديث من أماكنها فهو يورد أحاديث غريبة شاذة وغالبها ضعيف أو موضوع فلا يذكر من رواها مسندة بل يكتفي بإحالتها إلى كتب التفاسير التى لاعناية لأربابها بعلم السنة كالرازي والزمخشري والبيضاوي ونحوهم ممن يذكرون أحاديث لا أصل لها حيث أنهم ليسوا بمحدثين .

[انظر ص ١٠٦ ، ١١٦ وغيرهما من الجزء الأول وغيره]

٢ ـ يلاحظ أنه يكثر النقل عن تفاسير المتكلمين من المعتزلة ونحوهم الذين فسروا القرآن بالرأى ويعتمد تفاسيرهم وربما قدمها على تفاسير السلف والأئمة وأهل السنة فيكثر عن الزمخشري والفخر الرازي والصاوي والبيضاوي كما فى ص ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ وغيرها .

٣ - فيه بعض القصص المشكوك فيها كما فى ص ٢٦٨ من الجزء الأول وقد أحالها على تفسير الزمخشري وهو ليس بموثوق في النقل لعدم أهليته للحفظ في الحديث والروايات .

جـ ١ / ٢٩ : فى مقدمة سورة البقرة قال في وصفها : التى تعالج النظم والقوانين التشريعية الخ وهذه الألفاظ مولدة بمعنى ما وضعه البشر من الأحكام التي يتراجعون إليها عند الاختلاف فهي تسمية خاطئة مبتدعة فالأحكام التشريعية هي كما سماها الله؛ فأما النظم والقوانين فهى من وضع البشر فهى ناقصة لنقصهم فالصواب التفريق بينهما في الاسم والحكم .

جـ ١ / ٣٢ : ﴿هُدًى للمتقين﴾ س ٥ : قال : أي هادٍ للمؤمنين . . ثم قال في س ٢٤ : أسند الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب والهادي في الحقيقة هو الله . . ففيه مجاز عقلي .

أقول الصحيح إن شاء الله أن المراد وصف القرآن كله بأنه الهدى الذي يهتدي به الحيران أو أن فيه الهدى وقد ورد وصف القرآن كله بالهدى في عدة آيات[١] فلا حاجة إلى المجاز المزعوم[٢] .

جـ ١ / ٣٣ : س٣ ، ٥ : قال : الاستعارة التصريحية . . واستعارة لفظ الختم والغشاوة لذلك ﴿ختم الله على قُلوبِهِمْ﴾ .

---

(١) من هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ الإسراء
(٢) إذا أُسندت الهداية لغير الله فتكون بمعنى الدلالة والإرشاد .
وإذا أُسندت لله فتكون بمعنى الدلالة والتوفيق .

أقول هذه الاستعارة يعتبرها أهل البيان من أنواع البلاغة وقد تسلطوا بها على نصوص الصفات فحرفوها وصرفوها عن ظاهرها ولكن لا مانع من كون الختم على ظاهره كما ذكر الله المرض للقلوب والإقفال والطبع والرين والزيغ والقسوة فلا حاجة إلى الاستعارة فالمعاني مفهومة ظاهرة .

جـ ١ / ٣٣ : س ١٨ : قال : وعلى أسماعهم وعلى أبصارهم غطاء الخ .

أقول : الصحيح إن على الأبصار خاصة ، وأما السمع فعليه الختم كالقلوب كما في قوله تعالى : ﴿وختم على سمعهِ وقلبهِ وجعل على بصرهِ غِشاوةً﴾ فلهذا يوقف على قوله:﴿وعلى سمعهم﴾
(انظر ابن كثير جـ ١ / ٤٦)

جـ ١ / ٣٥ : س ٣ : قال : نزلت في منافقي أهل الكتاب ومنهم ابن أُبي ومُعتب والجَد بن قيس[1] .

هؤلاء المسمون ليسوا من أهل الكتاب بل من الأوس والخزرج ولم يذكر المؤرخون أن في اليهود منافقين بل كلهم قد أعلن الكفر إلا من أسلم منهم وهم قليل كابن سلام ومَن معه قالوا : وجدنا نعته في كتابنا .

---

(١) لقد دافع الشيخ عداب محمود الحمشي عن الجَد بن قيس ومعتب ، ونقل نقولاً كثيرة نفى فيها عنهم النفاق (انظر كتاب ثعلبة بن حاطب المفترى عليه) وهذا رد على الصابوني القائل بنفاقهما .

جـ ١ / ٢١٣ : ﴿ولا يكلِّمُهم الله﴾ قال : مَجازٌ عن شدة غضبه وسخطه ﴿ولا يَنظر إليهم﴾ قال الزمخشري مجَازٌ عن الاستهانة بهم .

وهذا تأويل يدل على إنكار صفة الكلام والبصر فإن تكليم الله تعالى لأهل الإيمان ونظره إليهم يوم القيامة يفيدهم نعيماً ولذة وسروراً واحتجابه عن الكافرين وحرمانهم من سماع كلامه زيادة في عذابهم .

جـ ١ / ٣١٧ : ﴿إلا لَيُؤمِننَّ به﴾ قال : أي بعيسى (قبل موته) أي موت الكتابي .

هذا أحد القولين في الآية لكنه مرجوح فالذي دلت عليه السنة وعليه الجمهور هو القول الثاني أن المراد قبل موت عيسى وذلك في آخر الزمان عند نزوله كما ورد فى الأحاديث ورجحه ابن كثير واختاره ابن جرير وقد يكون القول الأول مقصوداً به إنكار نزوله ممن علم ذلك فترجيح الراجح أولى من الاقتصار على المرجوح .

جـ ١ / ٢٤ : ﴿إن الله لايستحيي﴾ لحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف مايعاب به ويُذم ، والمراد به هنا لازمه وهو الترك قال الزمخشرى : أي لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك مَن يستحي مِن ضرب المثل لِحقارتها «أي إن الله لا يستنكف ولا يمتنع عن أن يضرب أى مثل كان» فكما لا يستنكف عن خلقها كذلك لايستنكف عن ضرب المثل بها ثم كرر ذلك في ص ٤٦ السطر الأول .

أقول : لاشك أن في هذا تأويلاً متكلفاً فلو أجرى اللفظ على ظاهره

وقرن معه نفي التمثيل والتشبيه كسائر الصفات التى نؤمن بها ولانكيفها لكان أولى وقد ورد في الحديث : «إن ربكم حَيِيٌّ كريم» .

جـ ١ / ١٦٢ : فى قوله تعالى ﴿وهو العلي﴾ قال : علو المنزلة والشأن الذي تعالى في جلاله وعظم في سلطانه .

أقول : وهذا فيه تقصير يفيد إنكاره لصفة العلُو والارتفاع ، فقد ذكر أهل السنة أن الله تعالى موصوف بعلُو القَدر وعلُو القهر وعلُو الذات ، وذكروا الأدلة على ذلك في كتب العقائد وغيرها .

جـ ١ / ٣٢٢ : ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ قال : لأن الإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه .

أقول : إن لفظ التركيب من الألفاظ المبتدعة التي يتجنبها أهل السنة نفياً وإثباتاً حيث إن المبتدعة جعلوا هذه العلة دليلًا لهم في نفي جميع الصفات .

جـ ٣ / ٥٥ : في قصة داود ذكر أن «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين» وهذا القول مشهور عند الصوفية ونحوهم وهو كلام مبتدع لا أصل له وإن حملوه على محامل بعيدة .

جـ ٣ / ٦٥ : ﴿ لِما خلقتُ بيدَيّ ﴾ قال : لِما خلقته بذاتي من غير واسطة أب . وأم .

وهذا من التأويل الظاهر الذي يسلكه نفاة الصفات وهذا التأويل باطل فإن إبليس خلقه الله بذاته ومن غير واسطة أب وأم ثم قد ورد

ذكر اليد في الكتاب والسنة وعلى القارئ مطالعة كلام ابن جرير عند قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ بل يداه مبسوطتانِ ﴾ .

جـ ٣ / ٦٨ : قال : وفي تسييره للشموس والأقمار .

هذا من الظن وعلم الغيب فإن الله لم يذكر إلا الشمس والقمر ولا يشاهد الحس إلا شمساً واحدة وقمراً واحداً فمن أثبت أكثر فعليه الدليل .

جـ / ٧١ : ﴿ ولا يرضَىٰ لعبادهِ الكفرَ ﴾ قال : لا يرضى بالكفرَ لا يمدح صاحبه ولا يثيبه عليه .

هذا تحريف للكلم عن مواضعه فأهل السنة يثبتون لله صفة الرضا والغضب كما شاء تعالى ويقولون إنه يرضى رضاً يليق به لا يشبه رضا المخلوق .

جـ ٣ / ٨٧ : ﴿ والأرض جميعاً قبضتُه ﴾ قال : تحت قبضته وسلطانه (مطويات بيمينه) بقدرته والغرض تصوير عظمته من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة .

في هذا الكلام تظهر عقيدة إنكار الصفات كقول الجهمية إنه ليس لله يد ولا وجه ونحو ذلك وقد أنكر عليهم أهل السنة وذكروا من الأدلة على إثبات صفة اليد كما يليق بالله الشيء الكثير كما في كتاب التوحيد لابن خزيمة وغيره ولا يستطيع النفاة تأويل جميع تلك الأدلة .

جـ ٣ / ٩٦ : نقل كلاماً عن أبي السعود في العرش وأقره وظاهره

نفي صفة الاستواء والعلو ، (وهذا نصه : وقال أبو السعود : وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلي[1] تحت ملكوته وقبضته قدرته مما يقضي علُو شأنه [2] وعظم سلطانه ، في غاية لا غاية وراءها) وقد جمع أهل السنة أدلة صفة العلو وأفردوها بالتصنيف فلا مجال لإنكارها ولا يُحيلها العقل الصريح فيثبتها أهل السنة كما يليق بالله تعالى .

جـ ٣ / ١٠٦ : نقل عن الصاوي أن النبي ﷺ معصوم من الصغائر قبل النبوة وبعدها .

والجمهور على أن العصمة من الكبائر فأما الصغائر فتقع من الأنبياء ولكن لا يُقرُّون عليها كما في شرح الطحاوية وغيره .

جـ /٣ / ١١٧ : ﴿ قالتا أتينا طائعينَ ﴾ قال : والغرض تصوير أثر قدرته من غير أن يكون هناك خطاب وجواب .

أقول هذا غير صحيح فالمتبادَر أن هناك خطاباً وقولاً صحيحاً فقد أخبر الله أن السموات والأرض ومَن فيهن يُسبحن له ثم قال : ﴿ **وإنْ مِن شيءٍ إلا يُسبِّحُ بحمدِه ولكن لاتفقهونَ تسبيحَهم** ﴾ كما أخبر أنها تسجد له وإن كُلاً قد علم صلاته وتسبيحه فلا مانع من كلامها حقيقة كما أخبر الله .

---

(١) العرش فوق السموات السبع ، فكيف يكون محيطاً بالعالم السفلي ؟!
(٢) لماذا لم يقل : وعُلو ذاته الذي ثبت في الكتاب والسنة ؟

جـ ٣ / ١٤٦ : ذكر أن الأولياء كالأنبياء يوحى إليهم بالإلهام أو المنام .

وهذا خطأ فإن أولياء الله تعالى هم كل مؤمن تقي ولو كانوا يوحى إليهم لم يحتاجوا إلى الشرع ولاستغنوا بالوحي إليهم عن الكتاب والسنة ولأصبحوا مرجعاً للناس في زمانهم عند الاختلاف وهذا من خواص الأنبياء الذين تكون رؤياهم وحياً .

جـ ٣ / ١٦٧ : ﴿ إلا مَن شهد بالحقِّ ﴾ قال : أي لا يملك أحد مِمن يعبدونهم مِن دون الله أن يشفع إلا لِمَن شهد بالحق فإنه تنفع شفاعته عند الله .

ظاهر هذا أن الشفاعة تنفع كل من شهد بالحق ولو لم تُكمل شروطها ، وأن ذلك يحصل مطلقاً من كل مَن شهد بالحق ، والصحيح أن الاستثناء منقطع كما اختاره ابن كثير أي لكن من شهد بالحق فلهم أجر شهادتهم وثواب حسناتهم .

جـ ٣ / ١٧٤ : ﴿ فما بكت عليهم السماءُ والأرض ﴾ قال : فما حزن على فقدهم أحد ولا تأثر بموتهم كائن من الخلق هكذا تأول هذه اللفظة وقد وردت أحاديث تؤيد ظاهر الآية ذكرها ابن كثير وغيره فلا حاجة إلى التأويل كما في قوله تعالى : ﴿ قالتا أتينا طائعينَ ﴾ .

جـ ٣ / ١٧٦ : ﴿ يوم لا يُغني مولًى عن مولًى شيئاً ولا هم يُنصرون إلا مَن رحمَ الله ﴾ قال : استثناء متصل يشفع بعضهم

لبعض . ظاهره إثبات الشفاعة المطلقة بدون شروطها والصحيح أن الاستثناء منقطع أي لكن مَن رحم الله فإنه يغفر له ولا حاجة إلى غير رحمة الله .

جـ ٣ / ٢٢١ : ﴿ يريدون أن يُبدِّلوا كلامَ اللّهِ . . كذلكم قال اللّهُ ﴾ قال : يُغيروا وعد الله . . كذلكم حكم الله الخ .

أقول هذا ظاهر في إنكار صفة الكلام حيث فسر الكلام بالوعد وفسر القول بالحكم وهو خلاف ظاهر الآية وغيرها من الأدلة التي يَستدل بها أهل السنة على أن الله تعالى متكلم ويتكلم حقيقة كما يشاء لكن ينزهون صفاته عن صفات المخلوقات .

جـ ٣ / ٢٦٩ : ﴿ فإنك بأعيُننا ﴾ ص ٢٨٦ ﴿ ﴿ تجري بأعيُننا ﴾ قال : بحفظنا وكلاءتنا وتحت رعايتنا [1] .

هذا خلاف ما عليه أهل السنة فهم دائما يستدلون بهذه الآيات على إثبات صفة العين لله تعالى كما يليق به كصفة البصر ولا تشبه ما يختص بالخلق .

جـ /٣/ ٣٢١ : ﴿ وهو معكم أينما كُنتمْ ﴾ علق في الآية الرد على من منع التأويل في كتاب الله تعالى مطلقا .

لا شك أن التأويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه والتكلف في

---

(١) لو أثبت الصابوني العين لله حسب الآية لكان تفسيره مقبولاً .

صرفه ، فأما المعية فهي عندنا حقيقية مقتضاها العلم والاطلاع والقرب وليس هذا تأويلا .

جـ ٣ / ٣٣٥ : ﴿ قد سمِعَ الله ﴾ قال : معنى سماعه إجابة دعائها لا مجرد علمه بذلك نقله عن الزمخشري وأقره .

لا شك أن هذا تأويل بعيد فقد ذكر الله السمع بلفظ الماضي والمضارع واسم الفاعل وأقرت عائشة بذلك في قولها :

« سبحان الذي وسع سمعه الأصوات » الخ .

جـ ٣ / ٤١٢ : ﴿ عندك بيتاً ﴾ قال : اجعل لي بجوار رحمتك في الجنة الخ .

هذا تأويل بعيد فقد أخبر الله تعالى بأن بعض المخلوقات اختصت بأنها عند ربنا كقوله : ﴿ فالذين عند ربِّكَ . . ﴾ . وعدُّها بعض العلماء من أدلة الفوقية لله تعالى .

جـ ٣ / ٤٤٠ : ﴿ لأخذنا منه باليمينِ ﴾ قال : كناية عن القوة والقدرة .

ولعل هذا تأويل فقد أثبت الله لنفسه اليمين وفي الحديث : « وكلتا يديه يمين » . [رواه مسلم جـ ٣ / ١٤٥٨] .

جـ ٣ / ٥٠٨ : ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ قال : ولا تنقطع الحياة عن ظهر هذا الكوكب الأرضي .

فيه تسمية الأرض كوكباً وهو خلاف الوارد . وفيه الجزم بدوام الحياة عليه .

ملاحظات عامة على كتاب صفوة التفاسير للصابوني :

للدكتور صالح الفوزان :

١ ـ اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها مثل : تلخيص البيان للشريف الرضي الشيعي الرافضي ، ومجمع البيان للطبرسي الشيعي أيضاً وتفسير الزمخشري المعتزلِي والرازي الأشعري ، ووصف هذه الكتب بأنها أوثق كتب التفسير . ولا يخفى ما في هذا من التغرير بالقراء الذين لايعرفون حقيقة هذه الكتب .

٢ ـ إثبات المجاز والاستعارات فِي القرآن الكريم مما لايتناسب مع مكانته الجليلة ، وكلام الله يجب حمله على الحقيقة لا على المجاز .

٣ ـ حشو الكتاب بما لايفهم كثير من القراء من علوم البلاغة ، مثل الطباق والجناس والاشتقاق والإطناب والحذف ، ويذكر هذه الأشياء ، بمجرد أسمائها من غير إيضاح لها . والظاهر أن قصده من ذلك المباهاة و . . . وقد يكون هو لايفهمها .

٤ ـ يورد في الكتاب كثيراً من الأحاديث فى أسباب النزول ولايبين درجتها من الصحة وعدمها .

٥ ـ حينما يُحيل على تفسير ابن كثير لا يحيل على الأصل وإنما يحيل على المختصر الذى عمله هو ـ وهذا من باب الدعاية لكتابه ـ كما يحيل على كتبه الأخرى كثيراً من باب الدعاية لها .

التمايل طرباً عند سماع القرآن بدعة

وصف حاله عند سماع القرآن فقال : وأحياناً أجدنى أتمايل طرباً بدون شعور أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام .

وهذا الكلام (للصابونى) من تعبيرات الصوفية ، والمطلوب عند تلاوة القرآن الخشوع لا الطرب ، ويجب أن يُنزه القرآن عن مثل هذا الكلام السخيف (انتهى كلام الفوزان)

أقول هذا الكلام من الصابوني عليه تعليقات :

١ ـ إنه مخالف لما ذكره الله عند سماع القرآن حيث قال :
﴿ إنما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِر الله وَجِلَتْ قلوبُهمُ ، وإذا تُلِيَتْ عليهمْ آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

قال إمام المفسرين الطبري عند تفسير هذه الآية [جـ ١٣ / ٣٨٥] تحقيق محمود شاكر : ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباع ماأنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ؛ ولكن المؤمن هو الذي إذا ذُكِر الله وجل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره خوفاً منه ، وفرقًا من عقابه ، وإذا قرئت آيات كتابه صدّق بها ، وأيقن أنها من عند الله ، فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه . .

٢ ـ يلاحظ القارئ للآية وتفسيرها أنها وصفت المؤمنين بالخوف عند ذكر الله ، ولم يصفهم بالتمايل طرباً كما فعل الصابوني ، ويفعله

كثير من القراء ، والصوفية ، والسامعين للقرآن ، وربما زادوا الصياح بصوت مرتفع (الله) أو يقولون للقارئ : الله يفتح عليك ، أو غيرها من الكلمات المنافية للخشوع ، والأدب مع كلام الله .

والعجيب ممن يسمع آية فيها وعيد ، ثم يتمايل طرباً ، والأولى به أن يبكي خوفاً .

٣ ـ إن القرون الأولى من عهد الصحابة والتابعين لايعرفون هذا التمايل ، وهذا الطرب الذى عند الصوفيين الآن كالرقص والتصفيق عند الذكر ، وغير ذلك من البدع .

إن السلف الصالح لايعرفون عند سماع القرآن إلا التدبر والخشوع والخوف والبكاء ، يتذكرون قول الله تعالى : ﴿ألَمْ يَأْنِ للذينَ آمنوا أن تخشعَ قلوبهُم لذكرِ الله ومانزلَ من الحقِّ . .﴾ (الحديد) ﴿الذينَ آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكرِ الله ، ألَا بذِكرِ الله تطمئنُّ القلوبُ﴾ الرعد .

٤ ـ لماذا يتمايل الصابوني عند سماعه القرآن أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام (أي الغناء والموسيقا) وهو يعلم أن المعازف والأنغام قال فيها ﷺ : «ليكونَن أقوام من أُمتى يستحلون الحِرَ والحرير ، والخمرة والمعازف» (الحِرَ : الزنا) (المعازف : الموسيقا والأنغام)

[رواه البخارى]

٥ ـ لماذا يفعل كما يفعل أهل البدع والمعاصي ، ولايفعل مافعله الرسول ﷺ حين سماعه القرآن :

(أ) عن حذيفة أنه قال : «كان ﷺ إذا مرَّ بآية خوفٍ تعوَّذ ، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرَّ بآية فيها تنزيه لله سبَّح» رواه مسلم .

(ب) وعن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : وهو على المنبر ـ « أقرأ عليَّ » قلت : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال « إني أُحبُ أن أسمعه من غيرى » ، فقرأت سورة النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية : ﴿ فكيفَ إذا جِئنا مِنْ كل أُمة بشهيدٍ ، وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً ﴾ [النساء : ٤١]

قال : « حسبُك الآن » ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان [متفق عليه]

(تذرفان : تدمعان) .

(جـ) وهذا القرآن يصف لنا حال بعض القسس والرهبان عند سماعهم له : ﴿ وإذا سمعوا ما أُنزلَ إلَى الرسولِ تَرَىٰ أعْيُنَهُمْ تفيضُ من الدَّمعِ مِمَّا عَرفُوا من الحقِّ ، يقولون ربَّنا آمَنَّا فاكتُبنا معَ الشاهدين ﴾ [المائدة : ٨٣] .

٦ ـ يتبين مما سبق أن المؤمن إذا ذُكر الله وجل قلبه ، وخشع ، ودمعت عيناه خوفاً من عقاب الله .



المشركون عبدوا رجالاً صالحين

١ - جـ ٣ / ٤٥٤ / ١٠ : على قوله تعالى : ﴿ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ، ولا سُواعاً ولايغوث ، ويَعوقَ ، ونَسرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

نقل عبارة الصاوى : هذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها (انتهى كلام الصابوني) وهذه العبارة تخالف ما ثبت في صحيح البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما أن هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح ماتوا فحزنوا عليهم ، فأشار عليهم الشيطانُ بتصوير صورهم ، ونصبها في مجالسهم لِتَذكُّرِ حالهم في العبارة إلى آخر الأثر ، وفيه أن هذه الصور عُبدت . (انتهى كلام الفوزان)

أقول التفسير الذى ورد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية هذا نصه : قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم ، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً (تماثيل) وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنَسَّخ العلم عُبدَت»

[رواه البخارى جـ ٦ / ٧٣]

(ولأبي ذر والكشميهني «ونسخ العلم» أي علم تلك الصور بخصوصها . [فتح الباري ٨ / ٦٦٩] .

٢ - جـ ١ / ٥٨١ / من قبل الأخير قوله : أي تبرأ منهم الشركاء (وهم الأصنام الذين عبدوهم) .

نقول : ليس هذا خاصاً بالأصنام ، بل كل ماعُبد من دون الله من الملائكة والأولياء وغيرهم ، فقصره على الأصنام خطأ ، وكذلك الكلام الذي بعده قصره على الأصنام قصور ظاهر (انتهى) أقول : إن الذي يقرأ نص الآيات يرى أنها شركاء تتكلم وتتبرأ من عابديها ، يوم القيامة . قال الله تعالى : ﴿ ويوم نحشُرهمْ جميعاً ، ثم نقولُ للذينَ أشركوا مكانَكم أنتمْ وشركاؤكُمْ ، فزيَّلْنا بينهم ، وقال شركاؤهم : ماكنتم إيانا تعبدونَ ، فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتِكُمْ لغافلينَ ﴾ [يونس : ٢٨ ، ٢٩] .

٣ ـ لقد فسر الصابوني قوله تعالى في سورة سبأ آية ٢٢ : ﴿ قلِ ادعوا الذينَ زعمتم من دونِ الله لايملكونَ مِثقالَ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ ، ومالهم فيهما من شِرْكٍ ، وماله منهم من ظهيرٍ ﴾ .

أي قل يامحمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم الذين عبدتموهم من الأصنام ، وزعمتم أنهم آلهة من دون الله . [جـ ٢ / ٥٢٢]

أقول : هذا التفسير يشبه الآية التي فسرها قبل ذلك في سورة يونس ، وقال : إنها الأصنام ، وهذا غير صحيح للأدلة الآتية :

(أ) إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فقد ورد في سورة الإسراء قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذينَ زعمتم من دونهِ ، فلا يملِكونَ كشفَ الضرِّ عنكم ، ولا تحويلا ، أولئكَ الذينَ يدعونَ يبتغونَ إلى

ربِّهِمُ الوسيلةَ أيهم أقربُ ، ويرجونَ رحمتَهُ ويخافونَ عذابه ، إن عذابَ ربكَ كانَ محذورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

والذي يقرأ سبب نزولها يتبين له أنها ليست في الأصنام ، فقد روى البخاري في كتاب التفسير [جـ ٦ / ٢٢٧] قال : كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجن ، وتمسك هؤلاء بدينهم .

(ب) وقد نقل الصابونى في مختصر ابن جرير الطبري حيث قال في تفسيرها :
قل يامحمد لهؤلاء الذين عبدوا غير الله : ادعوا الذين زعمتم أنهم أرباب من الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم [جـ ١ / ٤٨١] .

(جـ) وجاء في (صفوة التفاسير) عند تفسير هذه الآية مايلى :
﴿ قلِ ادعُوا الذينَ زعمتُمْ منْ دونِهِ ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه تعالى .
قال الحسن : يعني الملائكة وعيسى . وعزيراً ، فقد كانوا يقولون : إنهم يشفعون لنا عند الله . [جـ ٢ / ١٦٥] .

(د) يتبين مما سبق أن الذين كان يدعونهم المشركون هم رجال صالحون ، ولذلك عبر عنهم القرآن بالأولياء في قوله تعالى :
﴿ والذينَ اتخذُوا من دونِهِ أولياءَ مانعبدُهم إلا ليُقَرِّبونَا إلى الله زُلفَى ﴾ [الزمر : ٣]

الأصنام تمثل رجالاً صالحين

ذكر المؤلف في صفوة التفاسير (جـ ٣ / ٢٧٤) مايلي :

﴿ أفرأيتمُ اللاَّتَ والعُزَّىٰ ومَنَاةَ الثالثةَ الأُخرَىٰ ﴾

[النجم : ١٩ ، ٢٠]

قال الخازن : هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها .

أقول : هذا قول الخازن الذى ذكره الصابوني يخالف ماجاء في البخاري عن ابنِ عباس في قوله : ﴿ اللاَّت والعزَّىٰ) اللاَّت : كان اللاَّت رجلاً يلت سويق الحاج [جـ ٦ / ٥١] . وذكر ابن حجر في الفتح عن ابن عباس : ولفظه فيه زيادة : كان يلت السويق على الحجر ، فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه [جـ ٨ / ٦١٢] .

ونقل ابن حجر عن السهيلي : أن يغوث هو ابن شيث بن آدم فيما قيل ، وكذلك سُواع ومابعده ، وكانوا يتبركون بدعائهم ، فلما مات منهم أحد مَثَّلوا صورته ، وتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل فعبدوها بتدريج الشيطان لهم ، ثم صارت سنة فى العرب فى الجاهلية [جـ ٨ / ٦٦٨]

ونقل ابن جرير الطبري في تفسيره عن مجاهد قال : اللاَّت : كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره

[الطبري جـ ٢٧ / ٣٥]

الخلاصة : إن العرب كانوا يعبدون أصناماً ، وهي تمثل رجالاً صالحين ، كانوا يمثلون صورهم ويتمسحون بها حتى عبدوها .

ونرى بعض المسلمين - ويا للأسف الشديد - يتعلقون بأصحاب القبور ويتمسحون بها ، لأنهم أولياء ورجال صالحين ، حتى طلبوا منهم الشفاء والرزق ودعوهم من دون الله ، وهذه عبادتهم لأن الرسول ﷺ يقول : **«الدعاء هو العبادة»**

[رواه الترمذى وقال حسن صحيح]





معاشرة النساء لاتمنع وقت الحيض

جـ ١ / ٣٠ / ٣ / قوله : والتحذير من معاشرة النساء .

جـ ١ / ١٤١ / آخر السطر قوله : اجتنبوا معاشرة النساء في الحيض . اهـ .

يقول الدكتور صالح الفوزان : والمعاشرة بغير الجماع لاتمنع .

أقول : ذكر ابن كثير فى تفسيره عند قول الله تعالى :

﴿فاعتزلوا النِّساء في المحيض﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

يعنى في الفرج لقوله : «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» .

ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج .

ثم قال : وقال آخرون إنما تحل له مباشرتها فيما عدا تحت الإزار كما ثبت فى الصحيحين عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت : كان النبى ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض ، وهذا لفظ البخاري ، ولهما عن عائشة نحوه فهذه الأحاديث وما شابهها حجة من ذهب إلى أنه يحل ما فوق الإزار منها ، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي [جـ ١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩] لقد كرر الصابوني في كلامه السابق فقال في كتابه : (تفسير آيات الأحكام [جـ ١ / ٢٩٣] : إن دم الحيض دم مستقذر ، ومعاشرتهن في هذه الحالة فيه أذًى لكم ولَهن ، فاجتنبوا معاشرة النسَاء ، ونكاحهن في حالة الحيض .

أقول : إن المعاشرة هي المخالطة كما في مختار الصحاح والقاموس ،

وهي غير ممنوعة بدليل حديث أنس : إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ويسألونكَ عن الـمَحيض ، قُلْ هو أذًى فاعتزِلُوا النِّساءَ في المحيض﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

فقال رسول الله ﷺ : «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» .

فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل أن يدَعَ من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . [رواه مسلم]

إن عبارة الصابوني (فاجتنبوا معاشرة النساء) في كتابه : (صفوة التفاسير) و (تفسير آيات الأحكام) خطأ لأن العبارة توهم فعل اليهود في اجتناب معاشرة النساء ، وقد أباحها الاسلام .



مذهب السلف عدم تأويل الصفات لله

جـ ١ / ٣٤٥ / ٥ / قوله : هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه ﷺ . اهـ .

هذا التعبير خطأ لأنه يتضمن نفي صفة التعجب عن الله ، وقد ثبت في الأدلة أنه سبحانه يعجب ، ومثل هذا يتكرر كثيراً من المؤلف (الصابوني) فلينتبه له اهـ .

أقول : الآية التي فيها التعجب هي قول الله تعالى :

﴿وكيف يُحكِّمونَكَ وعندهُم التَّوراةُ﴾ [المائدة : ٤٣] .

وأما الأدلة من السنة فقد قال ﷺ : يقول الله تعالى :

«عجب ربنا عز وجل من رجل غزا فى سبيل الله ، فانهزم أصحابه فعلم ماعليه ، فرجع حتى أهريق دمه . .»

[حسن رواه أبو داود ، انظر صحيح الجامع ٣٨٧٦]

« يعجب ربك من راعى غنم ، في رأس شظية بجبل ، يؤذن للصلاة ، ويصلى . . » [رواه أحمد وغيره انظر الجامع ٧٩٥٨] .

فالصفات الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة نثبتها لله عز وجل من غير تأويل ولا تشبيه الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

وصفاته كثيرة منها : التعجب والغضب والرضا والمحبة والكره ، والضحك والإرادة والكلام والنزول والعلو .

جـ ٣ / ٧١ / ٤ قبل الأخير : فسر رضا الله بالمدح والإثابة ، وهذا تأويل الصفة عن معناها الحقيقي .

صفوة التفاسير لايُفسر بالحديث

جـ ٢ / ٢٢٩ / الأخير : ذكر أن (طه) من أسماء الرسول ﷺ ، ولم يذكر دليلاً على ذلك ، ثم قال في صفحة (٢٣٠/س١٢) : من الحروف المقطعة للتنبيه على الإعجاز القرآن ، فكيف يكون اسماً للرسول ﷺ ، ويكون حروفاً مقطعة ؟

أقول : إن هذا التناقض الذي وقع في التفسير ، سببه عدم الأخذ بالحديث الذي يُعين أسماء الرسول ﷺ ، وليس منها (طه) ، وهذا نصه : قال رسول الله ﷺ : « لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » وقد سماه الله رءوفاً رحيماً. [متفق عليه] .

جـ ٢ / ٦٠٤ / ٦ : وصفه الرسول ﷺ بأنه سيد الكائنات وصف فيه غلُوٌّ وإطراء ، وقد نهى النبي ﷺ عن مثل ذلك ، فلو قال سيد البشر لكان ذلك صحيحاً مطابقاً لقوله ﷺ :

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » [رواه مسلم]

أما سيادته على الكائنات فهذا لا دليل عليه .

جـ ١ / ٥٣١ / ١٩ : قوله عن أهل الكتاب مع أحبارهم ورهبانهم : (وإن كانوا لم يعبدوهم) هذا النفي خطأ ، لأن الله اعتبر طاعتهم له عبادة ، فكيف يقول لم يعبدوهم ؟

أقول : هذا النفي في التفسير يخالف الحديث الذي استشهد به بعد ذلك ، وهو قوله ﷺ لعدي بن حاتم : « **أليس يُحرمون ما أحل الله تعالى فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله ، فيستحلون ؟ : فقلت بلى : قال : فذلك عبادتهم** » فنفي الصابوني لعبادتهم يخالف الحديث الذي أثبت العبادة لهم .

جـ ٢ / ٥٥٣ / ١٠ / وما بعده : فسر قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم** ﴾ بغير ما ورد في حديث النواس بن سمعان :

١ - أقول : لقد فسر الصابوني الآية بقوله :
﴿ **حتى إذا فزِّع عن قلوبهم** ﴾ أي حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء من الملائكة والأنبياء .
﴿ **قالوا ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا الحقَّ** ﴾ أي قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة ؟ فأجابوهم بقولهم : قد أذن فيها للمؤمنين .

٢ - لقد فسر البخاري هذه الآية بالحديث الآتي :
« **إن نبي الله ﷺ قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مُسترق السمع ومُسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، ووصف سفيان بكفيه فحرَّفها ، وبدَّد بين أصابعه ، فيسمع الكلمة فيُلقيها إلى مَن تحته ، ثم يُلقيها الآخر**

إلى مَن تحته ، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ؛ فربما أدرك الشهابُ قبل أن يُلقيَها ، وربما ألقاها قبل أن يُدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيُصدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمِعت من السماء » .

[رواه البخاري في تفسير سورة سبأ جـ٦ / ٢٨] .

٣ - يلاحظ القارئ أن تفسير الصابوني يختلف عن تفسير الحديث تماماً ، ولا سيما أن الحديث ليس فيه ذكر للأنبياء الموجودة في صفوة التفاسير .



لا تقدم تفسيراً على تفسير الرسول ﷺ

جـ٢ / ص ٣١٨ - ٣٢٠ / ١١ - ١٧ - ١٢ : .

١ - فسر اسمي (الله) الظاهر والباطن تفسيراً يخالف مافسرها رسول الله ﷺ ، حيث قال : (والظاهر بآثار مخلوقاته والباطن الذي لا يعرف كُنه حقيقته أحد وقال : أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على وجوده ، والباطن الذي لا تدركه الأبصار ولا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته ،ثم علَّق على ذلك بقوله : هذا أرجح الأقوال في تفسير الظاهر والباطن وقد اختاره أبوالسعود والألوسي ، ومن العجيب أنه ساق بعده تفسير الرسول ﷺ لهذين الاسمين الكريمين بما يبطل تفسيره هذا ، وهو قوله ﷺ : « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » ، حيث فسر ﷺ الظهور بظهور ذاته وعلوها فوق مخلوقاته ، وفسر الباطن بقربه من عباده ؛ ولكن نعوذ بالله من عمى البصيرة ، وذكر هذا التفسير الباطل أيضاً في ص ٢١٩ / سطر ١٠ (انتهى كلام الفوزان)

٢ - أقول : لماذا يُقدم الصابوني تفسير البشر ويُرجحه - وهو يخطئ ويصيب - على تفسير الرسول ﷺ الذي لاينطق عن الهوى ؟ ألم يسمع قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لا تُقدِّموا بين يدَيِ الله ورسولِهِ ، واتقوا الله إن الله سميعٌ بصيرٌ ﴾ [الحجرات : ١]

وقد فسرها في كتابه : لا تُقدموا أمراً أو فعلاً بين يدي الله ورسوله . إن هذا التفسير يحتاج الى تطبيق عملي ، حتى لا يكون

نفخة الصور لا يموت فيها كل الأحياء

جـ٣ / ١٨ / ١٥ - ١٦ قوله : (نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم (انتهى) .

هذا يخالف قوله تعالى : ﴿ ونُفخ في الصور فصعِق مَن في السموات ومن في الأرض إلا مَن شاءَ الله ﴾ فهناك أشياء استثناها الله سبحانه (انتهى كلام الفوزان)

أقول : ذكر الشوكاني في فتح القدير عند تفسير هذه الآية [جـ ٤ / ٤٧٥] : ﴿ إلا مَنْ شاءَ الله ﴾ متصل والمستثنى جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وقيل رضوان ، وحملة العرش ، وخزنة الجنة والنار ، ثم ذكر حديثاً أخرجه البخاري ومسلم عند قول الله تعالى :

﴿ . . ثم نُفِخَ فيه أُخرى ، فإذا هُمْ قِيامٌ يَنظرونَ ﴾ وفيه يقول الرسول ﷺ : « فأكون أول من يرفع رأسه ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أرفع رأسه قبلي ، أو كان مما استثنى الله » ؟ ثم قال بعد ذلك ؛ وأخرج ابن المنذر عن جابر في قوله : ﴿ إلا من شاء الله ﴾ قال : موسى ، لأنه كان صُعق قبل . [جـ ٤ / ٤٧٧] .

ملاحظات الشيخ الفوزان

جـ ١ / ٢٤ / السطر الأخير / تسمية الله بالموجود الحق ، وأسماء الله توقيفية وليس هذا منها .

جـ ١ / ٢٠ / ١ / قوله : المتفرد بالوجود الحقيقي ، وهذا تعبير أهل وحدة الوجود .

جـ ١ / ٢٣ / ١٠ / قوله : أبدأ بتسمية الله - والصواب : ببسم الله .

جـ ١ / ٤٢ / ١٥ / قوله : لنفي التأبيد / والصواب : للنفي المؤبد لأن نفي التأبيد معناه عدم التأبيد .

جـ ١ / ٩٠ / ٦ ، ٧ / تأويل الوجه بالذات وهو تأويل باطل لأنه نفي لصفة ثابتة لله تعالى .

جـ ١ / ١٩٥ / وقال : فإن القلب يكاد يبصر يد الله وهي تحرك الأفلاك وهو قول على الله بلا علم .

جـ ١ / ٣٤٥ / ٥ / كما أنه يكرر كلمة : شهيد الإسلام ، يعني سيد قطب رحمه الله عندما ينقل عنه كما في صفحة (١٩٥) وصفحة (٣٩٥) مع أن الجزم بالشهادة لايجوز إلا بنص عن الله ورسوله في ذلك .

جـ ١ / ٥٢ /٧ - ٩ / كلام صوفي معناه أن المعصية لا تؤثر في

الولاية أخذاً من قصة آدم ، وهو خطأ لأن آدم تاب من معصيته - والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . والصوفية يرون أن الولي تسقط عنه التكاليف .

جـ ١ / ٤٠١ / ٢٠ / قوله : لأن الرب لا يجوز عليه التغيُّر والانتقال ، لأن ذلك من صفات الأجرام (انتهى) .

ونفي الانتقال ونفي الجرم عن الله لم يرد به دليل من الكتاب والسنة ، وما كان كذلك وجب التوقف فيه ، ولما فيه من الإجمال .

جـ ١ / ٤٠٧ / ٩ / قوله : معرفة الله بذاته وصفاته الخ / (انتهى)

لا داعي لذكر بذاته ، لأن ذاته سبحانه لا يمكن معرفتها .

جـ ١ / ٤١٠ / ٨ / قال على قوله تعالى : ﴿ **لا تُدرِكُه الأبصارُ** ﴾ أي لا تصل إليه .

هذا تفسير خاطئٌ حيث ثبت أن المؤمنين يرونه يوم القيامة ، وإنما الصواب : لا تحيط به حين تراه .

جـ ١ / ٥١٢ / ١١ / قوله : لأن الحرب ضرورة اقتضتها ظروف الحياة الخ .

هذا الكلام غير مناسب ، لأن الجهاد في الإسلام شرع لنشر عقيدة التوحيد في الأرض ، وظهور دين الإسلام على سائر الأديان . قال الله

تعالى : ﴿ وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فِتنةٌ ، ويكونَ الدِّينُ لله ﴾ [البقرة:١٩٣] .

وغيرها من الآيات التى تبين الحكمة التي من أجلها شُرِع الجهاد في سبيل الله ، لا من أجل ظروف الحياة كما زعم .

تنبيه مهم

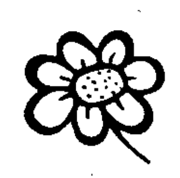
إن الكلام الصوفي الذي نقده الدكتور صالح الفوزان في آخر صفحة ١٣٧ لم يذكره ، وهذا هو نصه في صفوة التفاسير ١ / ٥٢ قال بعض العارفين : سابق العناية لايؤثر فيه حدوث الجناية ، ولا يحط عن رتبة الولاية .

فمخالفة آدم التي أوجبت له الاخراج من دار الكرامة لم تخرجه عن حظيرة القدس ، ولم تسلبه رتبة الخلافة ، بل أجزل الله في العطية فقال : (ثم اجتباه ربه)

قال الشاعر :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

[انظر التعليق على هذا الكلام في آخر صفحة ١٣٧]



ملاحظات متنوعة على الجزء الثاني

جـ٢ / ٧٣ / ٣ / قولِه : (من غير تجسيم) .

التجسيم لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة ، وهو من الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً .

جـ ٢ / ٧٦ / ٧ / قوله : (المستعلي على كل شيء بقدرته) . هذا تفسير ناقص لأنه تعالى مستعل على كل شيء بذاته وقدره وقهره .

جـ ٢ / ٧٧ / ٧ / قوله : (يجادلون في وجود الله) هذا لا يصح ، لأن كفار قريش يؤمنون بوجود الله ، وبتوحيد الربوبية ، وإنما يجادلون في تخصيصه بالعبادة .

وكذلك ما جاء في صفحة (٩٨) س(٥)من أن الآيات سيقت لإثبات وجود الله ، وهذا خطأ واضح ، لأن الكفار يقرون بوجود الله ، وبتوحيد الربوبية ، وإنما ينكرون توحيد الإلٰهية ، حيث يعبدون مع الله غيره ، فالآيات سيقت هي وأمثالها ، لإثبات توحيد الإلٰهية ، والاستدلال عليه بتوحيد الربوبية (انتهى) .

أقول : الدليل على أن كفار قريش يؤمنون بوجود الله قول الله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم مَن خلقَهُمْ لَيقُولُنَّ اللهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧]

جـ ٢ / ٤٨٦ / ٣ قوله : أصول العقيدة الثلاثة .

أصول العقيدة ليست ثلاثة فقط ، بل ستة :

الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره . [جزء من حديث رواه مسلم] .

جـ ٢ / ١٢٩ / ٣ / قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَخافونَ ربَّهم مِنْ فوقِهِمْ ﴾ أي يخافون جلاله وعظمته ، وهذا تأويل للفوقية بغير معناها الحقيقي الذي هو علو الذات الكريمة فوق عباده وحصره بعلو الجلال والعظمة .

جـ ٢ / ١٥١ / ١٠ / نقله لبيت الشعر الذي منه :
* سريت من حرم ليلاً إلى حرم * فيه نظر لأن وصف المسجد الأقصى المبارك بأنه حرم لا يصح لأنه ليس هناك حرم إلا في مكة المشرفة والمدينة المنوره ، والله لم يصف المسجد الأقصى بأنه حرم حيث يقول سبحانه : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبدِه ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىَ الذِي بارَكنا حوله ﴾ [الإسراء : ١] .

وقد ورد حديث في تحريم المدينة وهو قوله ﷺ :
« إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني حرمت المدينة حراماً ، ما بين مأذميها أن لا يُهراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح قتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعَلف » (رواه مسلم)
(مأذَميها : جمع مأذم ، وهو الطريق بين الجبلين)
(تخبط : تضرب بالعصا ليسقط ورقها).

جـ ٢ / ١٧٣ / ١٢ ، ١٣ / قوله : (فإن كانت نفس الإنسان مشرقة صافية صدرت عنه أفعال كريمة) هذا تعبير صوفي اعتزالي والحق أن يقال : فمن كتب من أهل السعادة فسيعمل بعمل أهل السعادة ،

ومن كتب من أهل الشقاوة فسيعمل بعمل أهل الشقاوة . كما في الحديث الذي بين سبب السعادة والشقاوة وكما دلَّ عليه القرآن .

جـ ٢ / ٢١٠ / ٣ / قوله : ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد والإيمان بوجود الله - كثيراً ما يكرر المؤلف مثل هذه العبارة (وجود الله) مع أن وجود الله تعترف به جميع طوائف البشر ، وإنما الخلاف في توحيد العبارة وهو الذي دعت إليه جميع الرسل ونزلت لتقريره جميع الكتب ، وأما توحيد الربوبية و(وجود الله) كما يُسميه فليس محل نزاع ، وإنما يذكر في القرآن للاستدلال به على توحيد العبادة لا لأجل إثباته ، لأنهم يقرون به ، والشواهد على هذا كثيرة حتى إبليس .

جـ ٢ / ٣٤٤ / ٦ / قوله : إن فيما تقدم ذكره لدلالة واضحة وعظة بليغة على وجود الصانع المبدع .

نقول ليس المراد من سياق الآيات مجرد الاستدلال على وجوده سبحانه لأن المخاطبين مقرون بذلك - وإنما المراد الاستدلال على وجوب إفراده بالعبادة وهو الذي يخالف فيه المخاطبون .

جـ ٢ / ٣٧٤ / الأخير من الحاشية - تعليقة رقم ٤ / قال في تفسير الذِكر المحدث : بأنه مُحدَثٌ في النزول لأن كلام الله قديم . وهذا خطأ لأن وصف كلام الله بأنه قديم يتمشىٰ مع مذهب الأشاعرة ، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون : إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد ، لأن الله يتكلم متى شاء إذا شاء .

ملاحظات متنوعة على الجزء الثالث

جـ ٣ / ٧١ / التعليق رقم (٤) فى الحاشية ، نقل عن سيد قطب كلاماً حول خلق الجنين فى بطن أمه جاء فيه (ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة) إلخ وإسناد خلق الجنين إلى يد الله فيه نظر لأن هذا من خصائص آدم عليه السلام حيث خلقه الله بيده فليتأمل .

جـ ٣ / ٧٣ / ١٥ قوله فيما نقله عن الرازي : فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية / هذا خلاف مايدل عليه قوله تعالى : **﴿فاعلم أنهُ لا إلهَ إلا الله واستغفِر لذنبِكَ﴾** [محمد : ١٩] .

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

جـ ٣ / ١١٠ / ١٣ / على قوله تعالى : **﴿فإذا قضَىٰ أمراً فإنما يقولُ له كُن فيكونُ﴾** نقل قول أبي السعود : وهذا تمثيل لكمال قدرته وتصوير لسرعة وجودها من غير أن يكون هناك آمر ومأمور ، وهذا كلام فاسد لأنه خلاف صريح الآية من أن الله تعالى : يقول للشيء قولا حقيقياً (كُنْ) والمراد من هذا نفي كلام الله على مذهب المبتدعة .

جـ ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ / ١٠ ، ١٦ / يعبر عن الآيات الكونية بأنها أدلة على وجود الله وكثيرا مايكرر مثل هذا التعبير وهو خطأ ظاهر ، لأنه ليس القصد من ذكر الآيات الكونية الاستدلال على وجود الله وانفراده بالخلق الذى هو عبارة عن توحيد الربوبية لأن هذا يُقِرُّ به جمهور العالم أو كل العالم ومنهم المخاطبون بالقرآن بالذات ، ومَن أقر ، بهذا

فقط لم يكن مسلماً ، وإنما المقصود بسياق الآيات الكونية دائما الاستدلال بذلك على توحيد العبادة الذي ينكره المشركون .

جـ ٣ / ١٣٤ / ٣ قبل الأخير / يقول إن الله منزه عن الأعراض والأغراض / ومثل هذا النفي مبتدع لأنه مما سكت الله عنه وسكت عنه رسوله ، ولأنه يراد بنفي الأغراض نفي الحكمة وبنفي الأعراض نفي أفعاله المتجددة . مثل الكلام والخلق والرزق !

جـ ٣ / ١٨١ / ١٧ ، ١٨ / قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿إن في السمواتِ والأرضِ لآياتٍ للمُؤمنينَ﴾ لعلامات باهرة على كمال قدرة الله وحكمته لِقوم يصدِّقون بوجود الله ووحدانيته ، وفي هذه العبارة خطأ من ناحيتين :

الأولى : أن الإيمان ليس هو مجرد التصديق . وثانياً : ليس المقصود من الآيات الاستدلال على وجود الله لأنّ الناس لاينكرون هذا خصوصاً المخاطبين بالقرآن .

جـ ٣ / ١٩٣ / ٧ / فسر قوله تعالى : ﴿ومَن أضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ من دونِ الله مَن لايَستجيبُ له﴾ بأن المراد بذلك الأصنام وهذا قصور لأن الآية عامة في كل ما عبد من دون الله من الأصنام والأنبياء والصالحين والملائكة والقبور والأضرحة وشيوخ الطرق الصوفية .

أقول : إن الذي يقرأ الآية التي قبلها وبعدها يتبين له أن المدعوين عقلاء يتكلمون وينكرون على العابدين عبادتهم من دون الله ، وهذا نص الآية :

﴿قل أرايتم ماتدْعونَ مِن دونِ الله أرُونى ماذا خلقُوا منَ الأرضِ ، أم لَهُمْ شِركٌ في السمواتِ : ائتوني بكتابٍ مِن قبلِ هذا أو أثارةٍ مِن علمٍ إن كنتم صادقِينَ . ومن أضَلُّ مِمّن يدعوا مِن دونِ الله مَن لايستجيبُ له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حُشِرِ الناس كانوا لهم أعداءً ، وكانوا بعبادتهم كافرينَ﴾ [الأحقاف : ٤ - ٦] .

جـ ٣ / ٢٦٧ / ٦ قبل الأخير /قال أي أم هم الخالقون لأنفسهم حتى تجرؤا فأنكروا وجود الله جل وعلا ، وهذا غير صحيح لأن المشركين لم ينكروا وجود الله وإنما أنكروا إفراده بالعبادة مع إقرارهم بأنه هو الذي خلقهم ، وكذلك قوله بعد ذلك بسطرين : ولذلك ينكرون الخالق غير صحيح .

جـ ٣ / ٢٨٧ / ١٠ ، ١١ / قال في معرض تفسير قوله تعالى : ﴿أبشراً مِنّا واحداً نتَّبِعُهُ﴾ ولم يعلموا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه / وهذا التعبير بالفيض يتمشى مع قول الفلاسفة : إن النبوة فيض وليست وحياً فيجب تجنبه .

جـ ٣ / ٢٩٦/٥ - ٤ قبل الأخير / فسر الوجه في قوله تعالى : ﴿ويبقَى وجهُ ربِّكَ﴾ بالذات وهو تأويل باطل يقصَد به نفي ما وصف الله به نفسه من أن له وجهاً . إن من المعلوم في لغات جميع الأمم أن الوجه غير الذات . وفى الأية قرائن تبطل هذا التأويل ذكرها ابن القيم في الصواعق .

جـ ٣ / ٣١٩ / ٢ قبل الأخير / نقل ترجيح الخازن أن تسبيح

الكائنات غير العاقلة يكون بغير القول / وهذا الترجيح خلاف الظاهر ولا دليل عليه والله تعالى يقول : ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلا يُسبِّحُ بحمدهِ ولكنْ لاتَفقهونَ تسبِيحَهُمْ﴾ والله قادر على أن يجعل للكائنات نطقاً يناسبها لانفهمه نحن فما هذا التكلف ؟

جـ ٣ / ٣٢٠ / ٢ من الآخر / قال على قوله تعالى : ﴿ثم استوَى على العرشِ﴾ استواء يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف .

وقد كرر هذه العبارة على جميع آيات الاستواء السبع ومعناها التفويض حيث لم يفسر معنى الاستواء بما فسره به السلف من أنه العلُو والارتفاع ، ويُفوض الكيفية .

وهذه طريقة الأشاعرة المفوِّضة منهم .

جـ ٣ / ٢٢١ / ١٧ / فسَّـر قوله تعالى : ﴿آمِنوا باللهِ﴾ أي صدقوا بأن الله واحد وتفسير الإيمان بأنه مجرد التصديق تفسير باطل يتمشى مع مذهب المرجئة ، والإيمان عند أهل السنة التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح لايكفى واحد من هذه الثلاثة دون البقية ، وقد تكرر من المؤلف تفسير الإيمان بأنه مجرد التصديق .

جـ ٣ / ٣٣٥ / ٨ ، ٩ / في تفسير قوله تعالى : ﴿قد سَمِعَ اللهُ﴾ نقل قول الزمخشري : ومعنى سماعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك وهو كقول المصلي سمع الله لمن حمده . اهـ .

وقد نقله مقرراً له مع أنه تفسير باطل لأن معناه نفي صفة السمع عن الله وتأويله بإجابة الدعاء ، وتشبيهه بقول المصلي : سمع الله لمن

حمده تشبيه مع الفارق بينهما ـ لأن (قد سمع الله) هنا مُعدًى بنفسه ومعناه السماع الحقيقي ، وسمع الله لِـمَن حمده ، مُعدًى باللام ومعناه الإجابة . كما نقل بعد ذلك بثلاثة أسطر تفسير أبي السعود لقوله تعالى : ﴿إنَّ الله سميع بصيرٌ﴾ بأن معناه مبالغ فِي العلم بالمسموعات والمبصرات وهذا معناه نفي صفتي السمع والبصر عن الله تعالى ، وتأويلهما بالعلم ، وهذا تأويل باطل .

جـ ٣ / ٥٠٨ / ٥ قبل الآخر . قال : ذكر تعالى هذه الأدلة التسع على قدرته تعالى كبرهان واضح على إمكان البعث والنشور .

فقوله : كبرهان تعبير غير سليم لأنه يعطي معنى التشبيه بمعنى أنها تشبه البرهان ، وليست برهاناً ، وهذا تعبير صحفي دارج لايليق بأسلوب التفسير . وجاء هذا التعبير فى ص ٥١٧ / س ١٣ /

« انتهى كلام فضيلة الشيخ صالح الفوزان »

أقول : ومن الخطأ الشائع قول بعض الناس : أنا كمسلم ، أو نحن كمسلمين ، والقول الصحيح : أنا مسلم ، ونحن مسلمون .



موقف الصابوني من الصفات

في كتاب (المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات) لمؤلفه : الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (جـ٢ / ٣٧١) قال فيه :

محمد علي الصابوني من المعاصرين الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة الأشعرية كما نشرت له ذلك مجلة المجتمع الكويتية .

وقد ردَّ عليه علماء فحول سلفيون فجزاهم الله خيراً فمنهم شيخ السلفيين في وقته حفظه الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز وقد نشرت رده مجلة (الدعوة السعودية) و (المجتمع الكويتية) وكذلك الشيخ صالح الفوزان نشرت مقالته (الدعوة السعودية) .

وكذلك الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي في رسالة جيدة وقد وعد الشيخ ابن باز بطبع الجميع في كتاب واحد .

وكذلك العلاّمة الشيخ ناصر الدين الألباني بيَّـن جهله بحديث رسول الله ﷺ في مقدمة سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الرابع . ولم يُعرِّج الشيخ إلاّ على أحاديث قليلة وهي كافية في بيان حال الرجل ، ولو دخل إلى طي الكتاب لوجد العجب العجاب .

وأما ما يتعلق بكتابه الصفوة فللقارئ أن يقرأ الصفات التي أتيت بها في هذا البحث فيرى أن الرجل تارة يذكر التأويل صفة كما في الوجه

والحياء والاستهزاء واليد وآية من آيات الإتيان والمجيء .

وتارة يذكر مذهب السلف كما في الاستواء وبعض آيات الإتيان والمجيء ، وكما في هامش آية اليمين كما في بعض النسخ مما يدل على اضطرابه وعدم ثباته ، فليحذر القارئ العاقل من مثل هؤلاء .



أين الأمانة العلمية في النقل ؟

١ - حين كتب الشيخ الصابوني مقالات في مجلة المجتمع الكويتية ، عندما زار الكويت وظهرت عقيدته خارج السعودية ، حيث زعم أن ابن تيمية يقول في فتاواه :

(**والعلماء أنصار فروع الدين ، والأشعرية أنصار أصول الدين !**) ولما كان هذا تَقَوُّلاً على شيخ الإسلام ، فقد تألفت لجنة من أساتذة كلية الشريعة بجامعة أم القرى ، وناقشوه حول مقالاته عامة ، وتَقَوُّلَه على ابن تيمية خاصة ، وأحضروا الفتاوى جـ ٤ / ١٥ حيث قال شيخ الإسلام :

(وكذلك رأيت فى فتاوى الفقية أبي محمد فتوى طويلة ، فيها أشياء . . . . إلى أن قال أبو محمد الفقيه : والعلماء أنصار فروع الدين . . إلخ) [جـ ٤ / ١٦] .

ثم عقب ابن تيمية على كلامة فقال : (ثم بعد حدوث الفتنة وقبلها لاتجد من يمدح الأشعري إلا إذا وافق السنة والحديث ، ولايذمه إلا بمخالفة السنة والحديث) [الفتاوى جـ ٤ / ١٧] .

ومن المعلوم أنه تم إبعاده عن التدريس فى الجامعة منذ ١٤٠٤ هـ .

٢ ـ ذكر الصابوني في كتابه (صلاة التراوايح) فقال ص ٥٦ : «عن الحسن أن عمر جمع الناس على أُبي بن كعب ، فكان يُصلى لهم عشرين ركعة» رواه أبو داود . وعزا الصابوني هذا فى الحاشية إلى كتاب : (المغنى جـ ٢ / ١٦٧) :

(أ) رجعت إلى المغنى لابن قدامة فإذا به يقول : (جـ ٢ / ١٦٧) :
« . . صلى بهم عشرين ليلة» فبدَّل (ليلة) إلى (ركعة) .
(ب) ورجعت إلى سنن أبي داود ، فإذا به يقول : (جـ ٢ / ١٣٦) :
«عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أُبي بن كعب ، فكان يصلى لهم عشرين ليلة» فبدل (ليلة) إلى (ركعة) .
(جـ) لقد بدَّل الصابوني كلام (المغني) ، وبدَّل أيضاً الأثر الوارد عن عمر ، ليثبت ـ بغير حق ـ أن صلاة التراويح عشرين ركعة .
علماً بأن هذه الرواية ضعيفة ، وعِلَّتها الانقطاع بين الحسن وعُمر .

٣ ـ سبق أن بتر الصابوني أول الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ :
«يكشف ربنا عن ساقه» [انظر التنبيهات ص ١١] .

٤ ـ ذكر الصابوني فى مختصر ابن جرير الطبري عند قوله تعالى :
﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾ [يونس : ٣] .
(جـ ١ / ٣٤٨) فقال : «هذا هو ربكم فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالربوبية . . » وعندما رجعت إلى الأصل وجدت ابن جرير الطبري يقول في تفسير الآية : (فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالألوهية والربوبية) . (جـ ١١ / ٦٠) وذكر الألوهية مهم جداً .

جاء الصابوني فحذف جملة : « فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته »

ووضع مكانها جملة « هذا هو ربكم » كما أنه حذف كلمة (الألوهية) ولم يلتزم الأمانة في النقل .

ألا فليتق الله في هذا التبديل الذى يضعف الثقة في مؤلفاته ، وليعلم أنه مسئول عنه أمام الناس في الدنيا ، ومسئول عنه أمام الله في الآخرة .



وجوب النصيحة

قال رسول الله ﷺ : «الدين النصيحة ، قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم»

[رواه مسلم]

وقال ﷺ : «كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون»

[حسن رواه أحمد]

١ ـ النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له .

٢ ـ قال ابن بطال : فى هذا الحديث أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول .

قال : والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ، ويُطاع أمره ، وأمِنَ على نفسه المكروه ، فإن خشي أذًى فهو في سعة .

٣ ـ النصيحة واجبة على كل مسلم ، ولاسيما فى الأمور الدينية ، وخاصة إذا اطلع المسلم على كتاب منشور فيه أخطاء تضر بعقيدة المسلمين وأمور دينهم ، فالواجب على هذا المسلم المطلع أن يقدّم النصيحة للمؤلف ليصحح أخطاءه وإذا رفض النصيحة ، وتصحيح الأخطاء ، وجب على هذا الناصح أن يُبين أخطاءه للناس ، ليعرفوا الحق من الباطل ، فإن هذا من النصح لهم .

٤ ـ من أدب النصيحة أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق .

٥ - على المنصوح أن يقبل النصيحة من أي شخص كان ، ويشكر الناصح الذي نصحه ، ليرجع عن خطئه في حياته ، ولئلا تستمر أخطاؤه بعد موته .

٦ - وفى الحديث التالي يبين الرسول ﷺ أن كل إنسان مُعَرَّضٌ للخطأ ، وخير الخطائين التوابون الذين يرجعون عن خطئهم ، ويتوبون إلى الله ، ويصلحون أخطاءهم ، ولم يُصِرُّوا على فعلهم وهم يعلمون .

٧ - ويفهم من الحديث : أن شر الخطائين الذين لم يتوبوا من خطئهم ، ولم يصلحوا أخطاءهم ، وأصَرُّوا عليها .

٨ - قال رسول الله ﷺ : **«لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبر ، قيل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونَعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحبِ الجمال ، الكِبر : بطَر الحق ، وغمط الناس»** [رواه مسلم]

(بطَر الحق : رَدُّ الحق ، وغمط الناس : احتقارهم) .

٩ - يفهم من هذا الحديث أن الذى يَرُدُّ الحق ، ويحتقر الناس لا يدخل الجنة دون مجازاة . [انظر شرح النووى ٢ / ٩١] .

١٠ - ليس من الغريب أن يُخطئَ المؤلف فى كتبه ، فكل مؤلف معرض للخطأ كما سبق ، ولكن المصيبة أن لايعترف المؤلف بخطئه ، ويُصر عليه ، ويَرُد النصيحة ، ويحتقر الناصح .

١١ ـ لقد رَدَّ كثير من العلماء على الشيخ الصابوني ، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة المجتمع الكويتية ، ومجلة الدعوة السعودية ، بعنوان : (**تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد على الصابوني في صفات الله عز وجل**) وقد طبع في كتاب نشرته (المكتبة السلفية بالكويت) ورَدَّ عليه الدكتور صالح الفوزان فى المجلة أيضاً ، ورَدَّ عليه الشيخ سفَر الحوالي ، والدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية في مصر ، والدكتور محمد أبو رُحَيم الذي نقده في اثنتين وعشرين مسألة في كتاب : (النبوة والأنبياء) للشيخ الصابوني ، وطبع في الكويت ، وذكر الصابوني في كتابه هذا أموراً باطلة لاتليق بكرامة مريم ، وعيسى عليهما السلام ، نقلها عن الأناجيل انظر صفحة ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

١٢ ـ وقد رَدَّ عليه (محمد سيف العجمى) من الكويت في كتاب سماه : (الرد على أخطاء محمد على الصابوني فيما سماه بالهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح) .

١٣ ـ ولقد نصحت الشيخ الصابوني بلطف ، وبينت له أخطاءه ، ولاسيما عند حذفه لأول الحديث الذي يفسر الآية متعمداً ، كما هو واضح في التنبيه الأول ، وهذا عمل خطير تقشعر له الأبدان ، وينكره أهل الإيمان ، ومع الأسف الشديد ، فقد أُعيد طبع كتاب (صفوة التفاسير) ولم يُثبت أول الحديث الذى

حذفه متعمداً رغم النصح والتذكير ، مما يدل على إصراره على أخطائه ، وخاصة أن أكثرها في العقيدة . لذا كان لا بُدَّ من بيان هذه الأخطاء دفاعاً عن القرآن وتفسيره ، وعن الحديث وبيانه ، ونصيحة للذين يقرءون كتبه ليعرفوا الحق من الباطل .

١٤ ـ إن الرجوع عن الخطأ هو من الفضيلة ، وأخلاق السلف الصالح الذي لايزال في المسلمين من يعمل به ، فقد التقيت بمدرس في الحرم النبوى يُعلم القرآن وتجويده ، ومَرَّ على كلمة (ليسوا سواءً) فمد الهمزة حركة واحدة عند الوقف ، ولما انتهى راجعته بلطف وسألته عن مقدار مدها فأجاب حركتين ، فقال لي مُتأسفاً : ولماذا لم تنبهني في الدرس ؟ وفي اليوم الثاني رآني مسروراً وقال لي : لقد نبهت الطلاب على مَد الهمزة حركتين .

١٥ ـ إنني بحمد الله أصدرت عدداً من الكتب ، وهذا هو السابع ، وكنت أنتظر نصيحة من أحد القراء ليدلني على الخطأ ، فأصححه ، وقد أعطيت كتابي : (**قطوف من الشمائل المحمدية**) لأحد المدرسين ليراجعه لي ، وأعطيته مكافأة مالية على هذه المراجعة ، وشكرته على ذلك وإني أطلب من القراء أن يكتبوا لى مايجدونه من الأخطاء لأصححها ، داعياً لهم بالخير عملاً بقول عمر : رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوب نفسي . ويعلم الله لو حدثت عندى أخطاء كثيرة كما حدثت عند الصابوني لألفت كتاباً خاصاً ذكرت فيه تراجعي عن الأخطاء ، وختاماً

وشكرت من نبهني عليها . وختاماً أدعو الله لي وللأخ الشيخ محمد على الصابوني قائلا : اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وحَببنا فيه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، وكرهنا فيه ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

تعميم لكافة أئمة الجوامع والمساجد بمكة المكرمة لجمع كتاب صفوة التفاسير لتصحيح أخطائه

فضيلة إمام . . . . الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد

أشير إلى خطاب سعادة وكيل الوزارة لشئون الأوقاف رقم ١٠/٧٤ وتاريخ ١٤٠٨/٥/٣ المبني على خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد رقم ١/٨٣٥ وتاريخ ١٤٠٨/٣/٣٠ هـ بشأن كتاب صفوة التفاسير وما به من أخطاء في تأويل لبعض آيات الصفات ونحوها .

لذلك نأمل من فضيلتكم جمع ماقد يوجد لديكم منها وتسليمها لمستودع هذه المديرية ، وعلى المستودع عدم توزيعها حتى يتم تعديل مابها من أخطاء متمنين لكم التوفيق والسلام عليكم

مدير عام الأوقاف والمساجد بمكة المكرمة بالنيابة

خليل عبدالرحمن كوشك



محتويات الكتاب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هذه التنبيهات

البحث عن الحق فضيلة يسعى إليها كل مؤمن، ويتميز بها كل مخلص، وهذه التنبيهات تتحدث عن بعض المخالفات الكبيرة في (صفوة التفاسير) لتقويمها على ضوء الكتاب والسنة، حسب مفهوم السلف الصالح.

وسيجد القارىء أموراً هامَّة تتعلق بالقرآن وتفسيره، وبالحديث وبيانه، وتمسُّ عقيدة التوحيد، ولاسيما توحيد الأسماء والصفات، وقد خالف المؤلف فيها عقيدة السلف الصالح التي هي أسلم وأعلم وأحكم، وجنح إلى طريقة الخلَف المخالفة لمنهج الكتاب والسُّنة، فأوَّل بعض الصفات الواردة في القرآن الكريم، وفسرها على غير مراد الله ورسوله ﷺ، ولم يأخذ بالحديث الصحيح الذي فسر الآية، بل تجرَّأ على الحديث وبتر أوله، تبعاً لمذهب التأويل المخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة. [انظر ص ١٣]

وقد فعل ذلك حينما اختصر تفسير ابن جرير الطبري. لذا كان لا بد من التنبيه على هذا وعلى غير ذلك من المخالفات الكثيرة، كنقله عن الصاوي الذي وقع في الغلو والإطراء المنهي عنهما وذلك حينما وصف الرسول ﷺ بأنه منبع الرحمات ومنبع التجليات!!

والصاوي معروف عند العلماء بأقواله الشنيعة كقوله في تفسيره: (الأخذ بظواهر القرآن والسنة من أُصول الكفر) [انظر ص ٢٦]

وسيجد القارىء مخالفات عديدة نَبَّه عليها بعض العلماء تهم طلاب العلم، ولاسيما من كان عنده (صفوة التفاسير).